جامعة قاصدي مرباح –ورقلة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية – شعبة فلسفة–

مذكرة لنيل شهادة الماستر أكاديمي تخصص: تاريخ فلسفة

بعنوان:

النظرية الحيوية في المعرفة عند " رائق علي النقري"

إعداد الطالب: عمار عياش

إشراف الأستاذ: شهيدة لعموري

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ :2017/5/18

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

أ. محمد الصديق بن غزالة.....رئيسا.

أ. شهيدة لعموري.....مشرفا ومقررا.

أ. أحمد زيغمي.....مناقشا.

السنة الجامعية:1438/1437 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآله

الإهداء .

إلى والديّ الكريمين وعائلتي الفاضلة ،

وإلى من علمني و لو حرفا واحدا ،

وأخص بالذكر أستاذي الألمعي : "رائق علي النقري".

شكر و تقدير.

أشكر جميع أساتذتي بالجامعة الذين تتلمذت على أيديهم – بعد هذا العمر – وأقدر المجهود الذي بذلوه في تعليمي و أخص بالذكر الأستاذة الكريمة شهيدة لعموري التي ساعدتني في البحث و لم تبخل عليّ بتوجيهاتها القيمة . و الشكر موصول إلى من ساعدني من قريب أو بعيد .

مقدمـــــــة

يعتبر موضوع المعرفة من أهم الأبحاث التي شغلت الفلاسفة على مرّ الزمن، وذلك لأن رؤيتهم للموضوع ومواقفهم منه تباينت. ولا يزال الغموض يكتنف الموضوع، وبما أنه لكل فيلسوف زماكانية محددة ومحيط معين، فحتما يؤثران على تفكيره، حيث يرى أن فهمه للمعرفة هو الفهم الصحيح والوحيد، ومن هنا تمسك المثاليون بأسبقية الفكر والروح عن المادة، وفي المقابل تمسك الماديون بأسبقية المادة والواقع عن الفكر والروح.

هذا الاختلاف أدى بالفيلسوف " **علي رائق النقري**"[1] إلى محاولة إيجاد نظرية جديدة في المعرفة علّها تكون مخرجا للأمة العربية و الإسلامية من تخلفها.إن المعرفة البشرية هي سرّ وجود الإنسان وبقائه، فلقد عرف الإنسان قديما بأنه"حيوان عاقل"، والعقل يعني التفكير، والتفكير يعني البحث عن المعرفة، وعليه كانت مشكلة المعرفة أسّ المشكلات الإنسانية كافة.

وقد كان لإختياري هذا الموضوع دوافع وأسباب ذاتية وأخرى علمية موضوعية. ذاتية تمثلت في رغبتي ومنذ سنوات طوال في البحث في الفكر الفلسفي للمفكر العربي السوري "رائق علي النقري"، انطلاقا من معرفتي الشخصية به ولكونه كان من أوائل الأساتذة الذين درست على أيديهم الفكر الفلسفي عامة، فكان حافزا لي لمحالة التعريف بنظريته في إطار عمل أكاديمي.

ودافع موضوعي علمي يكمن في عدم تناول هذه الشخصية وفكرها الفلسفي–حسب اطلاعي– في الحقل الفلسفي في الجزائر، لذا كانت الإشكالية الكبرى التي يدور حولها البحث في تحقيق النظرية الحيوية هي: ما بنود هذه النظرية؟

1– الفيلسوف رائق علي النقري من مواليد حمص بسوريا سنة 1947 ، مؤسس مدرسة دمشق للمنطق الحيوي ردا على هزيمة حزيران 1967 له عدة نشاطات : فنية ، أدبية ، فكرية ، سياسية . مؤلفاته تدور كلها حول نظريته و منهجه الحيوي . بدأها بالإيديولوجيا الحيوية 1970، هوية القومية العربية 1971 ، هوية القومية الصهيونية 1972 ، الإنسان شكل 1974 ، النظرية الحيوية في المعرفة 1976 و هي موضوع دراسة هذه المذكرة ، القانون الحيوي للكون 1976 ، البرمجة السياسية الحيوية 1978 ، المنطق الحيوي عقل العقل 1987 في أربعة أجزاء ، قانون العقل ، عقل القانون ، القانون و العقل فرديا ، اللاقانون و اللاعقل ، فقه المصالح 1999 ، عمل أستاذا و محاضرا و باحثا في عدة جامعات عربية و أجنبية ، الجزائر ، فرنسا ، أمريكا ، مصر.
انظر، رائق علي النقري، فقه المصالح(مصر، دار الأمين، ط1، 1999).

وكيف كانت المعرفة قبلها سواء عند المثاليين أو عند الماديين؟لتندرج تحتها تساؤلات فرعية أهمها: كيف فسرت مشكلة المعرفة انطلاقا من النظرية الحيوية عند الفيلسوف" علي رائق النقري"؟ وما البديل الذي قدمته هذه النظرية؟

حاولت معالجة هذه الإشكالية ضمن خطة عمل تتضمن مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

مقدمة و تناولت فيها أهمية الموضوع وطرح الإشكال والإشارة إلى المنهج المتبع في خطوات الدراسة. تطرقت في الفصل الأول إلى مدخل إلى النظرية الحيوية، أدرجت في المبحث الأول تعريف النظرية الحيوية ونشأتها، ميزت فيه بين الحيوية عند "رائق" وبين حيوية"برغسون"، كما أشرت إلى ظروف نشأة النظرية الحيوية المرتبطة بالنكبة أو النكسة 1967، وانعكاساتها العسكرية ومن ورائها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل الأكثر عمقا النفسية والروحية.

أما المبحث الثاني تناولت فيه مصطلحات النظرية وبنودها، تطرقت إلى أهم المصطلحات مثل: الشكل، الحيوية، التحوي، الشخصنة، التفرد، الفئوية..،ذلك لأن لكل فيلسوف مصطلحاته الفلسفية الخاصة به ولا يمكن فهم نظريته دون تعريفها، كما تناولت بنود النظرية والتي تكمن في: الكون شكل، حركة، صيرورة، احتمالي، نسبي.

أما الفصل الثاني كان بعنوان المعرفة قبل النظرية الحيوية، تناولت في مبحثه الأول: المعرفة عند المثاليين، انطلاقا من الإشارة إلى المعرفة عند" بركلي" باعتباره يمثل قمة المثالية في إنكار الواقع. ثم المعرفة عند"هيغل" باعتباره يمثل مفترق الطرق لدى الفلاسفة منذ العصر الحديث، وبالتركيز على المنهج الديالكتيكي عنده. أما المبحث الثاني

الموسوم بالمعرفة عند الماديين، اخترت أن يكون "ماركس" نموذجا باعتباره يمثل الجهة المقابلة لأستاذه "هيغل" فكل منهما استعمل نفس المنهج الديالكتيكي، واختلافا في الانطلاقة فقط، ثم عالجت المعرفة عند" غارودي" لكون "النقري" ركز على المعرفة عنده، فهو يعد من بين الوجوه الماركسية البارزة، رغم اعتناقه للإسلام في أخريات حياته، إلا انه لم يقدم نقدا للماركسية بل اعتبر الخطأ في عدم فهم "ماركس" وعدم تطبيق أفكاره بالكيفية الملائمة.

أما الفصل الثالث والأخير عنونته بالنظرية الحيوية في المعرفة تناولت فيه الواقع والإحساس باعتبارهما بداية نقطة الانطلاق في عملية المعرفة، بدءا من أن للواقع شكلا معرفيا، واعتبار الواقع متغير، ثم الإحساس كشكل معرفي. بعدها تناولت الإدراك والحقيقة باعتبار الإدراك شكلا معرفيا، حيث أن لكل شخص إدراكه حسب مجاله الحيوي. وكل حقيقة

هي نمط معايشة زمكانية، ومنه فهي نسبية احتمالية في صيرورة دائمة ولا توجد حقيقة جوهرية ثابتة. وقد حتمت علينا هذه الدراسة إتباع المنهج التحليلي النقدي والذي نعمل من خلاله على توضيح وتحليل أفكار" النقري" حول نظرية المعرفة وما قدمه من انتقادات لما قبله.

وكأي عمل واجهتني بعض الصعوبات في المرجعية التاريخية لدراسة نظرية المعرفة، بالإضافة إلى تطرق "النقري" إلى نظرية المعرفة تاريخيا عند جميع الفلاسفة المثاليين منهم والماديين، مما صعب علي الأمر في الإلمام بالموضوع والفصل فيه، إلا أنني حاولت تجاوز هذه الصعوبات من خلال توجيهات الأستاذ المشرف والعمل على حصر الموضوع وضبطه.

ونأمل أخيرا أن نضع أيدينا ولو بالجزء اليسير على مضمون هذه النظرية و المساهمة في الحقل الفلسفي والدراسات الجامعية.

الفصل الأول: مدخل إلى النظرية الحيويـــة

المبحث الأول: المفهـوم والنشأة.

المطلب الأول: تعريف النظرية الحيوية

1- الحيوية عند "هنري برغسون"

2- الحيوية عند" رائق علي النقري"

المطلب الثاني: نشأة النظرية الحيوية.

المبحث الثاني: مصطلحات وبنود النظرية الحيوية

المطلب الأول: مصطلحات النظرية الحيوية.

المطلب الثاني: بنود النظرية الحيوية.

إن المشروع النهضوي للأمة العربية الإسلامية الذي بدأ مع فيلسوف الشرق السيد"**جمال الدين الأفغاني**"(**1838-1897**) رفقة الشيخ "**محمد عبده**"(**1849-1905**) تبعته مشاريع أخرى:إسلامية، قومية،وطنية،ولكنها كلها لم تحقق النجاح-المرجو منها-الذي كانت تنتظره شعوب الأمة العربية الإسلامية.فهذه الأخيرة جرّبت كثيرا من النظريات المستوردة،لكن هذه النظريات لم ترق إلى طموح الجماهير،مما حفّز نخبة من المفكرين إلى ضرورة البحث الجاد عن حلول تكون نابعة من صميم التراث العربي الإسلامي وبديلا عن كل النظريات السابقة. ومن هؤلاء المفكرين العرب "**رائق علي النقري**" مع آخرين أتوا بنظرية فريدة من نوعها-حسب زعمهم- أطلق عليها اسم "النظرية الحيوية" والتي هي ميدان الدراسة.

المبحث الأول: المفهـــوم والنشأة.

قبل تعريف النظرية الحيوية لابد من طرح أسئلة:ما هي النظرية الحيوية؟وما هي مصادرها؟ومن تبناها؟وهل العرب السلمون في حاجة إلى نظرية فلسفية جديدة؟

• المطلب الأول:تعريف النظرية الحيوية.

أ. **التعريف اللغوي:** الحيوية:اسم مؤنث منسوب إلى الحياة

حية:الحياة :نقيض الموت[1]

حيي =الحي :الحياة.قال تعالى:" وإن الدار الآخرة لهي الحيوان"[2] أي دار الحياة الدائمة[3] .

1-ابن منظور،**لسان العرب**، (لبنان -بيروت :مج1)،د،ط،د،س،ص.773.

2- سورة العنكبوت، الآية 64.

3-محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح؛ نواف الجراح،(الجزائر، تلمسان، دار الأبحاث، ج3،ط1،2011)ص.532.

ب.التعريف الاصطلاحي:

أحاول في هذا التعريف الاصطلاحي الاقتصار على رأي كل من " هنري برغسون" و " رائق النقري" في مفهوم الحيوية.

1. الحيوية عند هنري برغسون Henri Bergson(1859-1941).

يمكن تعريف الحيوية عند **برغسون** من خلال طرحه للسؤال الأتي:ما هي الكائنات الواعية ؟وإلى أي مدى في الطبيعة يمتد الوعي؟ وهل كل الكائنات الحية هي واعية،أم أن الوعي لا يغطي إلا قسما من مجال الحياة [1] ؟

يجيب **برغسون** عن سؤاله هذا بالأتي" إذا الوعي يعني الاختيار فعلا،وإذا دور الوعي هو اتخاذ القرار فمن المشكوك فيه أن نجد الوعي في أجسام تتحرك بصورة عفوية ليس لديها قرارات تتخذها...لا يوجد كائن حي عاجز تماما عن الحركة العفوية ولو ظاهرا.حتى في عالم النبات حيث الجسم منبت في التربة تكون القدرة على التحرك أقرب إلى أن تكون نائمة منها إلى أن تكون غائبة وتستيقظ هذه القدرة عندما تستطيع أن تكون مفيدة".[2]

يتضح مما سبق ذكره أن "**برغسون**" يحصر الوعي الذي وظيفته اتخاذ القرارات في الكائنات الحية فقط وهي النبات والحيوان و الإنسان دون أن يشمل ذلك الجماد ،علما أن هذا الوعي قد ينام عند عدم الضرورة ويستيقظ حينما يريد تحقيق فائدة .

يقول **برغسون**:"واعتقد أن كل الكائنات الحية نباتات أو حيوانات تملك هذه القدرة حقا.يبدو لي إذا انه من المعقول أن ينام الوعي الذي هو حالٌ قائم لكل ما هو حي-حيث تنعدم الحركة العفوية،ويتأجج عندما ترتكز الحياة على النشاط الحر".[3] فالوعي عند "**برغسون**" ملازم لكل كائن حي،يقوى هذا الحي أو يضعف حسب الضرورة. كما ميّز "**برغسون**" بين الوعي والمادة حيث يرى أنهما مختلفان جذريا بل يتعارضان وإن تعايشا معا.فالمادة تمثل الضرورة والوعي يمثل

[1]-هنري برغسون ،**الطاقة الروحية** ،تر،علي مقلد،(لبنان بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.ط1991،،1) ،ص.09.

[2]--المرجع نفسه ، ص..13

3-هنري برغسون، الطاقة الروحية، تر ؛ علي مقلد، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،1991) ، ص. 13.

الحرية.هو يقول: الوعي والمادة يبدوان إذا في الوجود مختلفين بصورة جذرية،بل هما متعارضان،وإن تعايشا وترافقا رفقة مقبولة نوعا ما.إن المادة هي ضرورة والوعي هو حرية"[1].

ولهذه الحيوية عند "برغسون" خصائص أهمها:

أ. حيوية غائية هادفة تتطور نحو الأفضل، فالدافع الداخلي هو حقيقة واقعية.

ب. الحيوية عند **"برغسون"** حيوية بيولوجية محصورة في النبات والحيوان و الإنسان دون الجمادات.

ج. حيوية**"برغسون"**حيوية جوهرية روحية تختلف عن الجوهر المادي.

2. الحيويـــة عند "رائق علي النقـــري" :

يشير **"رائق علي النقري"**منذ البداية أن الحيوية عنده لا تعني حيوية **"برغسون"**بالمعنى البيولوجي بل تعني عنده **الدينامية والحركة المتجددة** التي تؤثر وتتأثر بشروط تكوينها.حيث يقول:"الحيوية لا تعني **"بيولوجيا"**كما هي الحال بالنسبة إلى مدلول كلمة الحيوية في اللغات الأخرى وإنما تعني **الدينامية** :أي الحركة المتجددة التي تؤثر وتتأثر بشروط تكوينها بدون أن تكون شروط تكوينها متميزة جوهريا عنها وذلك لأنها ومجالها الحيوي عبارة عن **علاقات وأشكال حركية**".[2] كما يعرفها بقوله كذلك:"**والحيوية لدينا تعبر عن صيغ التحويّ الكوني والاجتماعي والفردي والمعرفي والسياسي...والفئوي والعقائدي والاقتصادي والبيئي...الخ.**"[3]

فالحيوية بهذا المفهوم- عند **رائق**- هي نظرية ديناميكية إبداعية متجددة بأشكال مختلفة تخضع إلى شروط الكينونة ولا فرق في ذلك بين الكينونة المادية أو الكينونة الروحية.ومن هنا نلاحظ أن الفرق والاختلاف جذري بين حيوية **"رائق"**وحيوية **"برغسون"** فإذا كانت حيوية **"برغسون"**تعني الحياة عضويا وفيزيولوجيا فقط فإن الحيوية بالمعنى **"النقري"**تشمل حيوية **"برغسون"**. فحيوية **"النقري"**تحتوي كل كينونة سواء أكانت مادية أو روحية .

---

[1]-المرجع نفسه ،ص .15.

[2]-رائق علي النقري،**القانون الحيوي للكون** ،(سوريا،دمشق، مطبعة العلم ،ط:1 1975) ، ص227.

[3]-رائق علي النقري ،**فقه المصالح**،(مصر، دار الأمين ، ط،1 1999)، ص52.

• المطلب الثاني: نشأة النظرية الحيوية.

إن الحرب العالمية الثانية أحدثت انقلابا عالميا على جميع الأصعدة؛ سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا..الخ، مما تطلب وعيا فكريا وسياسيا يتجاوز مفاهيم ما قبل الحرب العالمية الثانية، وخصوصا بعد انقسام العالم إلى معسكرين؛ رأس مالي بزعامة أمريكا واشتراكي بزعامة روسيا سابقا وأصبحا متنافسين على احتلال و احتواء ما يسمى بالعالم الثالث وخصوصا العالم العربي.وأخيرا جاءت هزيمة 1967 أمام الكيان الصهيوني.

إن لكل نظرية علمية كانت أو فلسفية أو اقتصادية..الخ لابد من أسباب – مباشرة أو غير مباشرة– أدت إلى وجودها ونشأتها.فمن الأسباب المباشرة التي ساهمت في إيجاد النظرية هي هزيمة أو نكسة 1967،حيث كانت لها انعكاسات خطيرة على جميع المستويات:سياسيا، اقتصاديا ،اجتماعيا ،نفسيا وثقافيا...الخ.مما حدا بثلّة من المفكرين وعلى رأسهم"**رائق**"إلى البحث عن مخرج لهذه الأمة،فكان لزاما البحث عن نظرية جديدة علها تكون سبيلا للرقي والتطور ، وعليه طرحت الأسئلة التالية:كيف يمكن لنا أن ننطلق اليوم من عالمنا ومعطياته الراهنة، ومن مواقفنا المحلية في الشمال والجنوب؟ وأولا في العالم العربي والإسلامي؟[1] .

[1]–رائق النقري، **فقه المصالح** ،ص26.

المبحث الثاني: مصطلحات وبنود النظرية الحيوية.

إن "تحديد المفاهيم ضرورة في إزالة أي لبس أو غموض قد يعلق بذهن القارئ أو الباحث"[1] بل وحتى السامع، فتحديد الكلمة يساعد على وضوح الفكرة وما تحمله من معان ،وبما أنه لكل فيلسوف مفاهيمه ومصطلحاته الخاصة به حيث لا يمكن فهم فلسفته بدونها،لزم- ضرورة- تحديد مفاهيم ومصطلحات النظرية للفيلسوف"**رائق علي النقري**".

- **المطلب الأول: مصطلحات النظريـــة.**

أولا:مفهــوم الشكل.

أ- **لغة:** الشكل هو هيئة حاصلة لجسم بسبب إحاطة حد أو حدود بالمقدار[2].

ب- **اصطلاحا** : الشكل عند الحيوية "هو طريقة تشكل الكائن بوصفه جزءا من دوائر فعالة متجددة بتجدد متطلبات ظهوره وتنوعه وزواله"[3].

وبهذا المفهوم يكون الشكل عبارة عن كيفية محددة للكائن حيث تختلف الكائنات عن بعضها البعض في طريقة وأسلوب التشكل فقط. ولا يهم في ذلك الكائن سواء أكان "مادة أو روحا، ذاتا أو موضوعا، وجودا أو عدما ...كتلة أو طاقة ..."[4] وهذا التشكل جار باستمرار بحيث يمكن التحول من شكل إلى شكل.

ورب سائل يسأل ما هو الفرق بين الشكل والمضمون؟.نلاحظ أن **"رائق"** لا يقيم وزنا لهذا السؤال لأن إجابته محتواة فيه ، فالمضمون هو شكل في حد ذاته أي طريقة تشكل.فمفهوم الشكل يعد أشمل تعريفا للكون حسب النظرية الحيوية وهو التعبير الوحيد الذي يصلح لكل الكائنات مادية وروحية وجودا وعدما، جوهرا وعرضا فكل كائن هو شكل وطريقة تشكل بصيغة معينة.فمفهوم شكل "هو تعبير غير مسبوق على الإطلاق في تاريخ المعرفة الإنسانية". [5]

---

1 -عقيل حسين عقيل ،**المفاهيم العلمية (دراسة في فلسفة التحليل)**،(لبنان بيروت ، دار الآفاق الجديدة ،ط 1 2000)، ص.11

2-محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس ، ص. 781.

3-رائق النقري ، فقه المصالح ، ص . 49.

4- المصدر نفسه، ص .49 .

5-رائق النقري، **فقه المصالح**،ص.49.

ثـانيا: التحـــــــوي.

أ. **لغة:** التجمع والاستدارة. يقال :تحوَت الحية.[1]

ب.اصطلاحا: عند الحيوية:"هو المنظومة التي تلتف – بها – الحيوية حول نفسها،وحول ما فيها، وما في محيطها ، فالتحوي هو التعبير المناسب للدلالة على تغذية المنظومة المنطقية المعيشة بوصفها حوية تغذي نفسها بنفسها وتغذي غيرها".[2]

فالتحوي من الحوايا وهي الأمعاء حيث تتحوَى الغذاء فتغذي نفسها وتغذي الجسم معا فتكون عملية التأثير والتأثر متبادلة فكذلك كل كينونة عبارة عن شكل متحوى في شروط كينونته.

ثالثا: الشخصنـــــة.

أ– لغة: من الشخص: اثبات الذات. تشخيص الشيء تعيينه.[3]

ب –اصطلاحا : عند الحيوية:"مستمدة من (شخص) وهي دلالة للاتجاه نحو تعميم نموذج شخصي سواء أكان فرديا أو جماعيا".[4]

وبهذا المعنى نجد"**رائق**" يرفض مفهوم الشخصنة لأنه سلبي يكرس السكون والجمود والتخلف في المجتمع ويكون عكس التطور و الإبداع والحرية.ولا يمكن أن يسود هذا النموذج –مهما كان شأنه– فردا أو جماعة أن يعمم عن الجميع.

رابعا : التفـــــرد.

أ– لغة: من الفرد وهو منقطع النظير، الذي لا نظير له.[5]

1–ابن منظور، **لسان العرب** ، (مج 1)، ص. 765.
2–رائق النقري، **فقه المصالح**، ص.51.
3–محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس** ، (ج5)، ص.631.
4–رائق النقري، **فقه المصالح** ،ص.53.
5–ابن منظور، **لسان العرب**، (مج2)، ص.1069.

ب –اصطلاحا: عند الحيوية:هو "مستمد من (الفرد) دلالة للاتجاه نحو تجاوز الشخصنة العامة باتجاه متجدد وأكثر انفتاحا وإنسانية".[1]

فالتفرد يعني التميّز والإبداع مع الانفتاح الايجابي نحو الآخر ومحاولة التناغم معه، بخلاف الشخصنة التي تعني التقوقع وطرد الآخر والابتعاد عنه.علما أن هذا التفرد أو الشخصنة يوجد في كل المجتمعات – عبر التاريخ – وان اختلفت التشكيلات وتباينت من مجتمع لآخر بل في المجتمع الواحد.

خامسا: الفئويـــــة.

أ– لغة: اسم منسوب إلى الفئة وهي جماعة من الناس أو طائفة من الناس.[2]

ب–اصطلاحا: عند الحيوية:"يشكل الفرد أو الجماعة من الناس دائرة تحوي فردي أو فئوي، تحوي أنساق تكونها بمصالح تتضمن استمرارها وإعادة إنتاجها".[3]

والجدير بالذكر هنا أن الفئوية وهي مجموعة من الناس تجمعها تشكيلة معينة وفق شروط زمكانية محددة. وقد تتعدد حسب النسق وتشكيلته:قد تكون أرضية(جبلية، سهلية، ساحلية، شمالية، جنوبية،...الخ)، سكانية(شباب، كهولة ، ذكور، إناث، بيض، سود، مهاجرون، مقيمون..الخ)، اقتصادية(عمال، فلاحون، حرفيون، أغنياء ، فقراء،...الخ)،علمية(أميون،اختصاصيون..الخ)، لغوية(عربية، روسية، انجليزية،ألمانية،...الخ)، عقائدية (أديان ، طوائف، مذاهب...الخ).

كما قد تكون دوّلا و شعوبا وقبائل...الخ، وكل هذه الفئات تتغير بتغير طريقة التشكل الاجتماعي.

---

[1]–رائق النقري، **فقه المصالح** ، ص.53.

[2]–ابن منظور، **لسان العرب**، (مج2) ، ص. 1043.

[3]–رائق النقري، **فقه المصالح** ، ص. 54.

- **المطلب الثاني: بنـــود النظـــرية الحيويـــة.**

لهذه النظرية بنودها الخاصة بها وهي خمسة على التوالي[1]:

1- الكائن عمرانه يحدد عمره.

2- الكائن حركة لا تحتاج لمحرك.

3- الكائن صيرورة حيوية يتأثر ويؤثر في جميع شروط وجوده.

4- الكائن صيرورة احتمالية باتجاه الحياة أو العكس.

5- الكائن جزء من مجال حيوي(نسبي).

هذه البنود يحاول"**رائق**" شرحها مفصلا وتقديم الأدلة على صدقها في كتابه"**القانون الحيوي للكون**" ويمكن تلخيصها قدر المستطيع.

البند الأول: الكائن عمرانه يحدد عمـــره.

حاول "**رائق**" أن يشرح كيف أن عمران الكائن يحدد عمره، وذلك بتقديم أدلة على ذلك

إذا كانت اللغة هي التقنية المعرفية التي من خلالها نحاول الفهم والتفاهم كان لابد من التدقيق في استعمالها و منه رأى "**رائق**" أن كلمة "**كائن**":"المشتقة من كلمات مثل كينونة، يتكون، تكوين،...الكائن هو كينونة، والكينونة هي علاقة معينة...طريقة تكوين...يختلف كائن عن آخر بحسب طريقة تكوينه"[2].

إن كلمة "**كائن**" –عنده– أصدق تعبيرا من كلمة مادة، وجود، روح، شيء. فهذه كلها كلمات لا تفي بالغرض؛ فكلمة"**شيء**" غامضة قد تعني اللاعضويات، وقد تعني أجزاء الشيء، كما أن كلمة الوجود تستلزم كملة العدم وكلمة المادة تستلزم كلمة الروح وعليه تكون كلمة"**كائن**" هي الكلمة الشاملة والمعبرة عن كل كينونة سواء أكانت مادية أو روحية.

1-رائق النقري، **القانون الحيوي للكون**، ص.43.

2-ارائق النقري، القانون الحيوي للكون، ص.40.

أما كلمة"**عمران**" فهي:"الصيغة التي يتألف منها الكائن...الشكل الذي تتم به صيرورة الكائن".[1]

فالعمران هو عمارة مكونة من جزيئات(الذرة مثلا)حيث لكل كينونة عمرانها الخاص بها، فالعلم الحديث اثبت إمكانية تحول هذه الجزيئات من شكل إلى أخر خصوصا بعد النظرية النسبية.

أما كلمة"**عمر**" **لغة**: العُمرُ، العُمُرُ، العُمَرُ تعني الحياة.يقال: قد طال عُمرُه وعَمرُه.[2] أما "**رائق**" فقد أخذه من التعريف العلمي حيث"يستخدم تعبير"عمر النصف" للعنصر المشع وهو الزمن اللازم لتتحول نصف كمية معين من ذلك العنصر إلى عنصر آخر"[3]. ومعروف أن علماء الآثار يحددون بدقة عمر الأثر إن كان حديثا أو قديما عن طريق قياس مدى التحول إلى كربون ذلك لأن مختلف العناصر تتحول إلى كربون في أزمنة متفاوتة عبر السنين.كما يستدل بالجانب العملي في تحديد عمر أي كائن – كيفما كان – من الأجهزة الالكترونية (من محركات إلى إطارات العربات، كلها لها عمر محدد حسب ساعات العمل، ناهيك عن متوسط عمر الجسد البشري حيث يتفاوت حسب الأفراد والمجتمعات وطرق التغذية والصحة ...الخ. فلكل خلية عمر محدد(معدل التئام الجرح)[4]، حيث يستطيع الشخص التنبؤ بتقدم التئام الجرح حسب سن المصاب وعمق الجرح وصغره أو كبره، فكلما كان أقل كان أسرع في الالتئام " و يمكن حساب عمر العمران الاجتماعي بشكل إحصائي في كل تشكيلة اجتماعية ، أن نقيس عمرها السياسي والاقتصادي، والإيديولوجي ، والثقافي.."[5] ومنه نقول هذه التشكيلة متقدمة أم متخلفة من خلال نسبة الجرائم والانتحار والبطالة والدخل الفردي ومتوسط الوفيات والاستهلاك والإنتاج..الخ. ويظهر هنا أنه لا فرق في تحديد العمر بين الكائنات العضوية وغير العضوية من الإنسان إلى الذرة.

1- المصدر نفسه ، ص.37.

2-ابن منظور، **لسان العرب** ،(مج2)، ص..881

3-رائق النقري، القانون الحيوي للكون، ص.44.

4-المصدر نفسه، ص.45

5- المصدر نفسه ، ص.46.

"فعلم **السبارنتيكا** وهو علم يدرس الخصائص العامة المشتركة لمختلف منظومة التحكم".[1] **فالسبارنتيكا** تدرس الكائنات العضوية وغير العضوية.

يقول "**نوربيت فيينر Norbert Wiener** "(**1894–1964**)*:"إن تسلط المادة يميز طورا من فيزياء القرن التاسع عشر أكثر مما يميز العصر الراهن. فقد أصبحت المادية مجرد مرادف مهلهل للآلية وأصبح الخلاف بين المذهب المادي و الروحي غير ذي موضوع أي مجرد أسئلة أسيء وضعها".[2]

فالسبرنتيكا أزالت الفروق بين ما هو مادي وما هو روحي، حيث أصبحت لا توجد كينونة جوهرية ثابتة لا تتغير، فكل كينونة هي الآن مجرد طريقة تكوين وتشكل فقط، يمكن أن تتحول إلى كينونة أخرى؛فالذهب قد يتحول إلى قصدير أو نحاس والعكس صحيح.و في البيولوجيا مثلا لا يوجد كائن يختلف جوهريا عن كائن أخر إلا من حيث تشكيلة الأحماض النووية فهذه الأخيرة هي التي تشكل الفئران أو الطيور أو الذكور أو الإناث بل وحتى الأعشاب؛ فالذكورة أو الأنوثة هي مجرد طريقة تشكل الكروموزومات فقط. " فالحرارة يمكن أن تتحول إلى كهرباء والى ضوء، والى مغناطيسية، والى حركة مغناطيسية، والى حركة ميكانيكية.."[3]

لا يوجد لون يختلف عن لون ولا خشونة عن نعومة ولا مسموع عن اللامسموع (طريقة وجود الاهتزازات فقط) ولا نغمة تختلف عن نغمة إلا في طريقة شد الوتر واهتزازه.ولهذا نجد أن لكل كائن عمُرا محددا حسب صيغة وطريقة عمرانه؛ فالكينونة من الميكروفيزيا إلى الماكروفيزيا إلا ولها عمر يحدده عمرانها.وهكذا مادام الكائن طريقة تكوين والعمران يتغير من حالة إلى أخرى والعمر يختلف من كائن إلى آخر يمكن القول إن الكائن عمرانه يحدد عمره بسبب هذا التغير وهذه الحركة. فما مصدر هذا التحول وهذه الحركة ؟ هذا ما يكون في البند الثاني.

1- المصدر نفسه ،ص.48.

* عالم أمريكي يعد أب السبرناتيكا، نقلا عن رائق النقري، القانون الحيوي للكون،ص.51.

2-رائق النقري،القانون الحيوي للكون ،ص .51.

3- رائق النقري، القانون الحيوي للكون، ، ص.54 .

- **البند الثاني : الكائن حركة لا تحتاج لمحرك .**

مما سبق ذكره في البند الأول أن الكون عبارة عن شكل لا جوهر ثابت قائم بذاته وعليه لا يكون هناك كائن جوهري يحرِك و كائن عرضيَ متحرك ، ومنه يطرح السؤال الآتي : إذا لم يكن في الكون جوهر ثابت يحرك الكون فمن يحركه؟ بالنسبة إلى "**رائق**" هذا السؤال لا معنى له ، لأنه لا يوجد محرك لا يتحرك –حسب اعتقاده– فهو يقول : " لماذا نبحث عن محرك لشيء هو حركة ؟" [1] اللهم إلا إذا أردنا افتراضه خارج أو ما وراء الكون وهذا الافتراض لا يوافق عليه"**رائق**".إن الكون غير ساكن وحتى ما نراه ساكنا فهو متحرك في حقيقته، بل هو عبارة عن مجموعة معقدة من حركات ومن كيفيات معينة. فمثلا الناعورة قد تتحرك بالحيوان أو بالماء أو الهواء أو المحرك الكهرباوي، ولكن ليس كل حيوان أو ماء أو هواء أو محرك كهرباوي يحرك الناعورة إلا إذا توفرت فيه صفات محددة تمكنه من الحركة. مع العلم انه إذا نظرنا إلى هذه المحركات نجدها في حد ذاتها عبارة عن حركة بل حركات؛ فالماء يتكون من عدة حركات وكذا الهواء والمحرك الكهرباوي وحتى الحيوان يتحرك على مستوى الذرة والوظيفة والاستعمال.

وكذا فالطاولة والقلم يبدو أنه ساكن، بيد انه في حقيقة أمره متحرك؛ فهو متكون من مجموعة من الحركات الذرية، وعند الاستعمال تكون حركاته احتكاكية، فاستعماليه، يلاحظ ذلك من خلال جفاف الحبر وتآكل سن القلم باستمرار.[2] ألا يظهر أن المحرك هو حركة كذلك؟ وهكذا يبدو أن الكون حركة لا تحتاج إلى محرك. ولكن إذا كان"**رائق**" يرفض فرض محرك وراء هذا الكون، فالسؤال لماذا يرفض؟ وما الدليل على رفضه؟ علما أن فرض المستحيل ليس مستحيلا.فإذا كانت الكينونة في تحرك وتشكل مستمر، وهذا متفق عليه، فالسؤال المطروح هو: ما هو مصدر هذه الحركة؟ وهل مصدرها ذاتي (في الكون نفسه) أم موضوعي (خارج الكون) ؟ بعبارة أخرى" فهل يمكن أن يكون الشيء الواحد، من الناحية الواحدة موضوعا للحركة وسببا لها في وقت واحد؟[3] فهذا تناقض لا يقبله العقل، لأنه لو سلمنا

[1]–المرجع نفسه، ص.109.

[2]–رائق النقري، القانزن الحيوي للكون، ص. 110.بتصرف.

[3]–محمد باقر الصدر، **فلسفتنا**، (لبنان، بيروت ،دار التعارف للمطبوعات،ط 12، 1982)، ص.357.

بالتناقض – كما يزعم الجدليون كافة – لانهارت كل الفلسفات العلمية ولأصبح كل كلام عن أي شيء لغوا و هراء. فالعقل لا يرفض أن يكون للمتحرَك محرِك لا يتحرك بحيث تكون منه البداية. وهذا ما نجده في عبارة"**أرسطو**" حيث يرى أن العقل لا يرفض أن يكون المحرك الأول يحرك دون أن يتحرك. "فإنه ليس يجب ضرورة أن يكون العامل المحرك يتحرك...فقد يُحدث الحركة من دون أن يتحرك".[1] كما أثبت "**أرسطو**" عقليا وبالضرورة المنطقية أنه يمكن أن يكون خالق غير مخلوق ومحرك غير متحرِك. "ولذلك يرى **أرسطو** أنه ما دام هناك كون وفساد للكائنات فلا بد من وجود حركة يلزم عنها القول بوجود محرك،وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون ثمة شيء أزلي أيضا، وإذا كانت الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو(واحد) يجب أن يكون عينه غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة"[2].

كما نجد "**ابن رشد**" تكلم عن الحركة والمحرك الذي لا يتحرك يوافق في ذلك أستاذه"**أرسطو**" ، حيث يقول: "وقصارى القول أن التغير إذا كان أزليا يستلزم وجود حركة أزلية وهذه الحركة تحتاج إلى محرك أزلي، لأننا إذا قلنا أن العالم حادث يجب أن يكون هناك عالم آخر نشأ عنه وهكذا يتسلسل الأمر إلى غير نهاية وإذا قلنا أن هذا العالم ممكن وجب علينا أن نقول بوجود ممكن قوله وهذا أيضا إلى ملا نهاية له[3]. "و لذلك قرر ابن رشد أن العالم متحرك منذ الأزل وله محرك أزلي يحركه، وهذا المحرك يصدر عنه نظام العالم. وحركته الدائمة، خليق بأن يسمى صانع العالم. وتأثيره في العالم إنما يتم بتوسط العقول المحركة أفلاك وكل نوع من الحركة في هذا العالم فلا بد له من مبدإ خاص به"[4].

ومن هذه الفقرة يقر ابن رشد أن العالم متحرك منذ الأزل وله محرك أزلي يحركه دون أن يتحرك وهو صانع هذا العالم.

أما "**محمد باقر الصدر**" * فيَنفي أن تكون المادة هي التي تحرك نفسها بنفسها، وإنما المادة لها استعداد وقابلية لأن تتحرك؛ فالحركة موجودة في المادة بالقوة لا بالفعل وعليه يقول:"فلا بد –إذا– من التفتيش عن سبب الحركة

1-ارسطو، **الفيزياء– السماع الطبيعي**، تر،عبد القادر قينيني ،(لبنان ،بيروت، 1998)، ص.552.
2-فاروق عبد المعطي، **أرسطو، أستاذ فلاسفة اليونان** ،(لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط 1، 1992) ،ص. 110.
3-نقلا عن فراج الشيخ الفزاري، مباحث الفلسفة الرئيسية،(لبنان، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992)، ص.161.
4-المرجع نفسه، ص.161.
*مفكر عراقي (1935-1980).

الجوهرية للمادة، ومموّنها الأساسي خارج حدودها، ولابد أن يكون هذا السبب هو الله تعالى الحاوي ذاتيا على جميع مراتب الكمال".[1] ولعل الرأي الأقرب إلى الصواب أن كل الأدلة المقدمة منذ " **أرسطو**" أو حتى قبله وإلى "**باقر الصدر**" أو بعده تبقى أدلة عقلية في حدود العقل البشري. والجدير بالذكر أنه لا أحد من الفلاسفة والمفكرين –عبر مسيرة الفلسفة– وإلى الآن استطاع أن يعطي تعريفا للعقل متفق عليه، تساوى في ذلك المؤمنون والملاحدة والمثاليون والماديون؛ الشيء الذي جعل"**رائق**" أن يعتبر العقل "شكلا أي طريقة تشكل وعمرانه يحدد عمره "[2] . ولهذا يكون الكائن صيرورة يؤثر ويتأثر بشروط وجوده وهو البند الثالث.

- **البند الثالث:الكائن صيرورة حيوية يتأثر و يؤثر بجميع شروط وجوده.**

ما دام الكائن ليس جوهرا بل شكلا وطريقة تشكل حيوية فلا بد أن يتأثر ويؤثر في كافة شروط وجوده، حيث تكون الكينونة حصيلة مجموعة المؤثرات، وهذه المؤثرات بدورها حصيلة مؤثرات أخرى. فإذا كان الماديون يعتبرون المادة هي السبب الجوهري المحرك للروح باعتبارها نتيجة، وأن المثاليين يعتبرون الروح هي السبب الجوهري في تحريك المادة باعتبارها نتيجة.فالنظرية الحيوية لا تميز بين السبب و النتيجة، بل ترى أن كل سبب قد يكون نتيجة والعكس. يقول "**رائق**":" أما الأمر لدى الحيوية فمختلف إذ ليس هناك سبب يختلف عن نتيجته...ونتيجة تختلف عن أسبابها، لأن ما هو نتيجة هو سبب لنتائجه".[3]

فمادامت الحيوية تلغي وجود الجوهر من الأساس، وأن الجوهر ما هو إلا طريقة تشكل؛ فالعلاقة ليست علاقة سبب بمسبب بل العلاقة علاقة ترابطية وتداخل كلي بين جميع الأشكال."فالترابط الكوني في المفهوم الحيوي يقوم على تداخل كلي بين جميع الكائنات بصرف النظر عن كونها كتلية أو طاقية...مادية أو روحية حيث كل كائن يتبادل التأثر

1-محمد باقر الصدر، **فلسفتنا**، ص.359.

2- رائق النقري ، **النظرية الحيوية في المعرفة** ، (سوريا ، دمشق ، دار الأنوار للطباعة ، ط1 ،1975) ،ص. 35.

3- ـــــــــ ، **القانون الحيوي للكون**، ص .174 .

والتأثير وهذا هو محور الحيوية".[1] فالحيوية ترى أن التأثير والتأثر متبادلان والعلاقة ترابطية فقط، فالقضية قضية"تبادل المواقع "[2].

فمثلا إذا كانت" البنية التحتية" – بالمفهوم **الماركسي** – تتدخل في تغيير وتكوين "البنية الفوقية"، حيث تكون وسائل الإنتاج هي السبب المحرك والثقافة هي النتيجة. فالنظرية الحيوية ترى أن البنية الفوقية قد تكون هي السبب في تغيير البنية التحتية. فالزمن الاجتماعي باعتباره حركة اجتماعية يؤثر ويتأثر بكافة شروطه وبنوده المشكلة لصيرورة الكائن، فقد يتجه نحو الأفضل أو الأسوأ." والزمن الاجتماعي هو محصلة حيوية لجميع بنود القانون الحيوي للمجتمع"[3]. وهذه البنود هي: الأرض، السكان، العمل، العلم، العقيدة، الإدارة، القائد. فكل بند من هذه البنود السبعة، هو مؤثر ومتأثر في نفس الوقت. فالأرض تؤثر في الزمن الاجتماعي من حيث التركيبة والتشكيلة(سهلة، صعبة، قاحلة...)فكلما كانت الأرض أصعب ساعدت على وجود التحدي ومن ثم المحافظة على البقاء و الاستمرارية وتحقيق الحياة، كما أنها قد تتأثر بالزمن الاجتماعي من حيث التقدم أو التخلف؛ فالزمن المتقدم يؤثر على الأرض يغير تضاريسها أو حتى مناخها لصالح المجتمع؛يتجلى ذلك مثلا في شكل سدود وحقول وقنوات...الخ. بينما الزمن المتخلف لا يكاد يحدث تأثيرا على الأرض.

أما تأثير السكان فيظهر في عدة جوانب: الحجم السكاني، الطبقات الاجتماعية، الهجرات الاجتماعية، فكلما اتسعت الدائرة السكانية للفرد كان تأثيره أكثر حيوية– إلا في ما ندر– لشعوره بالانتماء والمراقبة مما يجعله يؤدي دوره بصورة متقدمة، كما أن اتساع الحجم الاجتماعي للسكان يؤدي إلى التقدم."وهكذا نرى أن الحجم الاجتماعي للعرب ازداد عندما امتزجوا في حجم اجتماعي أكثر اتساعا (الإسلام)".[4] وهذا ملاحظ اليوم في التكتلات الاقتصادية العالمية حيث لا مكان للأحجام الصغيرة سواء أكانت دولا أو شعوبا. كما يلاحظ أن للطبقات الاجتماعية دورا في التقدم الاجتماعي، فكلما اتسعت رقعة المساحة الاجتماعية كان دور الفرد فيها أصعب ومنه يفرض عليه عجزا يجب تجاوزه.

[1] –المصدر نفسه ، ص ص..174،175

2–المصدر نفسه ، ص.175 .

3–رائق النقري، القانون الحيوي للكون، ص..181

4– المصدر نفسه ، ص.188.

"إن الطبقات الاجتماعية تؤثر من خلال مساحتها العددية وسقوفها الإنسانية، فكلما كانت هذه الطبقات ذات سقف إنساني مرتفع وذات مساحة عددية أكبر كان الزمن الاجتماعي أكثر تقدما وذلك من خلال قدرتها على توجيه الصراع الطبقي لصالح الطليعة الثورية".[1] وكذا الهجرات الاجتماعية؛ فالهجرة من المجتمع وإليه تساعد على التغير و التغيير مما يؤدي للتفاعل، فيظهر التقدم بخلاف المجتمعات الساكنة والراكدة التي لا هجرات فيها. علما أن الهجرات تختلف؛قد تكون داخلية(في المجتمع نفسه) وقد تكون خارجية (من دولة إلى أخرى) وقد تكون دائمة أو مؤقتة. وعموما الهجرات الداخلية تكون أكثر فاعلية أما الخارجية فقد تكون سلبية على المجتمع(هجرة الأدمغة) إلا إذا كانت هذه الهجرات مؤقتة بحيث تعود على المجتمع الأصلي بالفائدة. أما بخصوص تأثير الزمن الاجتماعي على السكان فيختلف حسب درجة التقدم والتخلف، فإذا كان الزمن الاجتماعي متقدما كانت قدرة الفرد على التفاعل والتعرف والانفتاح والاندماج على الآخرين أكثر بروزا، بخلاف المجتمع المتخلف نجد التقوقع والخوف من التعرف على الآخر مما يؤدي إلى عدم الهجرة وعدم التفاعل.

أما تأثير العمل في الزمن الاجتماعي فواضح للعيان ارتباطه بالتقدم فلا يمكن أن نجد تقدما في مجتمع يسوده الخمول والكسل والبطالة، على عكس المجتمع الحيوي والعملي حيث تقدم وسائل الإنتاج يتيح الفرصة لتوفير الجهد العضلي والفكري وكذا الوقت كي يستثمر في النشاط الإبداعي. ولا ننسى أن العلاقة عضوية؛ فكما يؤثر العمل في الزمن الاجتماعي كذلك يؤثر الزمن الاجتماعي في العمل حيث وفرة وسائل الإنتاج وتطورها يساعد على قلة الجهد المبذول مما يتيح ربح الوقت ،على عكس الزمن الاجتماعي المتخلف حيث تكون وسائله تقليدية ولا يساعد على الرغبة في العمل.

أما تأثير العلم على الزمن الاجتماعي فمن البديهيات؛ فالعلم يساعد على التقدم التقني والممارسة العصرية التي تؤدي إلى الإبداع والتطور، بشرط أن يكون العلماء عمليين لأنه لا معنى للتطور النظري دون خضوعه للتجربة والممارسة الميدانية. في المقابل هذا العلم يتطلب زمنا اجتماعيا متطورا ليساعد على التطبيق الميداني والإبداع؛ فلغة المجتمع وعاداته وتقاليده ونظمه السياسية والاجتماعية كلها تساهم سلبا أو إيجابا على المعرفة العلمية.

[1]-رائق النقري، القانون الحيوي للكون ، ص.193.

أما تأثير العقيدة في الزمن الاجتماعي يظهر جليا من خلال النظرة إلى الكون ككل؛ فالعقيدة التي تحترم القيم الإنسانية والأخلاقية (الحياة، الحرية، العدالة..الخ)،تختلف عن تلك العقيدة التي تكرس العنصرية والتمييز والاحتقار للآخرين، مع ملاحظة أن الزمن الاجتماعي يؤثر كذلك على العقيدة من حيث القدرة على فهم الحياة والموت وإعطاء مفهوم لكل منهما سلبا أو إيجابا؛ فالانتحار أو الشهادة مفهوم عقائدي. ومنه فالزمن الاجتماعي المتقدم ينتج عقيدة إنسانية أخلاقية متسامية، في حين أن العقيدة التي تشجع على القتل والانتقام والتسلط تكون نابعة زمن اجتماعي متخلف.

أما تأثير الإدارة في الزمن الاجتماعي باعتبارها "طريقة توجيه التشكيلات الاجتماعية"[1].فإذا كان هدف الإدارة هو تحقيق الحرية والوحدة الاجتماعية والعدالة يكون تأثيرها متقدما في الزمن الاجتماعي المتقدم، أما الإدارة التي تعمل على تكريس التفرقة والاستغلال وبث روح الانهزامية في المجتمع فتعود إلى التخلف والتقهقر. فالإدارة كلما كانت متصلة بالقطاعات الأخرى، وكانت غير مركزية كان تأثيرها تقدميا، وكلما كانت منفصلة عن القطاعات الأخرى ومركزية في قراراتها كانت باعثا على التخلف في الزمن الاجتماعي، وعليه يكون تقدم الزمن الاجتماعي من تقدم الإدارة وتأخره من تأخرها. وهنا تكون العملية تأثيرا وتأثرا، فكما تؤثر الإدارة في الزمن الاجتماعي يؤثر هذا الأخير في الإدارة كذلك ،فتقدم الزمن الاجتماعي يجعل الإدارة قوية وتكون قوانينها نافذة ومحترمة، على عكس الزمن الاجتماعي المتخلف حيث يجعلها تعيش الفوضى ولا مسؤولية في النظام.

أما تأثير القائد في الزمن الاجتماعي " فالقائد هو الذي يخلق القادة.. وهو الذي يساهم في خلق الطليعة الثورية"[2]. إن القيادة حسب رؤية **"رائق"** لا تتمثل في إعطاء الأوامر للآخرين وإنما في المساهمة في إيجاد أو خلق قادرين على إعطاء الأوامر لأنفسهم بأنفسهم. فالقيادة معايشة إنسانية تساهم في الإبداع وتحقيق الحرية في الحياة، مع الإشارة إلى أن الزمن الاجتماعي يؤثر كذلك،فإذا كان هذا الأخير متقدما يكثر فيه القادة بخلاف الزمن المتخلف يختفي فيه

1- رائق النقري، **القانون الحيوي للكون** ، ص. 197.

2-المصدر نفسه ، ص. 199.

القادة و يقلّون. وهكذا يظهر تأثير وتأثر الزمن الاجتماعي بكل بنود الصيرورة الحيوية للمجتمع بحيث تكون هذه الصيرورة صيرورة احتمالية وهذا ما يناقش في البند الرابع.

- **البند الرابع : الكائن صيرورة احتمالية باتجاه الحياة أو العكس"الكون احتمالي".**

إذا كانت الحيوية تختلف عن الفلسفات السابقة عنها بنفيها لمقولة" **الجوهر** " وأن الكينونة مجرد طريقة تشكل معينة، فإن الحيوية تختلف عن هذه الفلسفات اختلافا آخر وذلك بفكرة الزمن، فإذا كان الزمن الاجتماعي عند كل الفلسفات يسير دائما بصورة متصاعدة وإلى الأمام، ومنه تكون المجتمعات السابقة أكثر تخلفا من اللاحقة والآتية أكثر تقدما وهكذا لان -حسب زعمها- التاريخ يسير وفق غاية محددة سلفا ولابد من تحقيقها. ولكن الحال تختلف عند الحيوية حيث"لا يوجد سهم محدد سلفا يوجه الزمن الاجتماعي في كل المجتمعات إلى الأمام ويجبرها على السير في اتجاهه...إنما يوجد اتجاهان للحركة أحدهما باتجاه الحياة، والثاني باتجاه القصور ولكل احتمال ظروف تجعله ممكنا في أحد أشكال الصيرورة الحيوية لمجتمع دون آخر"[1].

فالصيرورة الحيوية صيرورة احتمالية باتجاه الحياة أو العكس ،فالكون احتمالي. والجدير بالذكر هنا التمييز بين نوعي الاحتمالية – حسب رائق – حيث هناك معنيان: معنى إحصائي ومعنى غائي؛ فالإحصائية هي أن تسقط قطعة نقود على وجه أ، فهذه تخضع إلى مزيد من الدقة ومعرفة العوامل المؤثر عليها(قوة القذف، زاوية القذف، علو القذف ،تسارع القطعة، مقاومة الوسط..)فهذه العوامل كلها يجب أن تؤخذ في الحسبان إذا أردنا معرفة الوجه الذي ستسقط عليه القطعة بصورة حتمية ومع ذلك تبقى النتيجة احتمالية ،فهذه احتمالية علمية قانونية لا ينكرها"**رائق**" .أما الحتمية التي يرفضها فهي الحتمية الغائية الفلسفية، فهو يرد على جميع الفلسفات السابقة سواء أكانت مثالية أو مادية، فأية فلسفة تقول بالحتمية الغائية ،حيث تكون غايتها محددة سلفا وبشكل نهائي وبصورة مسبقة ابتداء من "**أرسطو**" وانتهاء بـ"**هيغل**" و"**ماركس**"لا تكون هذه الحتمية الغائية إلا افتراضا مسبقا غير مبرر؛ فالكينونة لا تسير حتما ودائما نحو

1- رائق النقري، **القانون الحيوي للكون** ، ص. 215

الأفضل وإنما تتفاوت وتتباين حسب شروطها؛ بدليل أننا نجد اليوم مجتمعات ذات زمن متقدم وأخرى ذات زمن متخلف. وهنا يتساءل **"رائق"**: " فهل الزمن الاجتماعي في لبنان هو أعلى من الزمن الاجتماعي الفينيقي؟ وهل الزمن الاجتماعي في اليمن هو أعلى من الزمن الاجتماعي السبَئي والحِميري؟" [1]*

ف**"رائق"** يرد على الحتمية الغائية ويستبدلها بالاحتمالية، فكل حركة إما تسير باتجاه الحياة والحرية وإما تسير باتجاه السكون والتقهقر. علما أن هذه الحركة توجد في كل كينونة من الجماد حتى الإنسان مرورا بالنباتات والحيوان. ولا يمكن أن تكون الحركة حية وحرة إلا إذا ارتبطت بصورة جيدة مع شروط تكوينها.ومنه تكون الحركة نسبية وهي البند الخامس والأخير .

- **البند الخامس: الكائن جزء من مجال حيـوي (الكون نسبي).**

مادام الكائن عمرانه يحدد عمره، وحركة لا تحتاج لمحرك، وأنه صيرورة يؤثر ويتأثر بكافة شروط وجوده، وأنه صيرورة احتمالية باتجاه الحياة أو العكس؛ فالنتيجة المنطقية لهذا السياق أن الكائن جزء من مجال حيوي،علما أن هذا المجال يتعدد: الفيزياوي، العضوي، الاجتماعي،...الخ. كما أن المجال يختلف من كائن إلى آخر ولا يوجد مجال يشمل كل الكائنات." وبناء على هذا لا يجوز الحديث عن أبعاد نموذجية مطلقة تعم جميع أشكال الكون سواء أكان فيزياوية أم اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية أم أسرية أم عقائدية أم معرفية..الخ"[2]. ولذا أصبحت كل تشكيلة إلا ولها أبعاد نسبية لا سيما بعد ظهور الهندسات اللاتقليدية على يد (**لوباتشوفيسكي**)**و(**ريمان**)*** وأخيرا على يد (**اينشتاين**). فهذه الهندسات ألغت فكرة المكان المطلق والزمن المطلق. " وبالتالي فإننا يجب أن نعيد النظر في جميع الفلسفات التي بنيت عليها...وذلك من قبل (**أرسطو**)...ومن بعد (**نيوتن**)"[3].

1-رائق النقري، **القانون الحيوي للكون** ، ص.215.

*كان طرح هذا السؤال سنة1975 و لا يزال قائما لحد اليوم 2017

[2] –رائق النقري، **القانون الحيوي للكون** ، ص .274.

**-نيكولاي لوباتشيفسكي عالم رياضي روسي (1792- 1856).

***-برنارد ريمان عالم رياضي الماني(1826- 1866).

3- رائق النقري، **القانون الحيوي للكون** ، ص.274 .

إن النظرية النسبية أثبتت عدم استقلالية الزمان عن المكان، وأنه لا وجود للمكان أو الزمن المطلق. فكلمة "**الآن**" مثلا تختلف من مكان للآخر حسب المجال الحيوي؛ فإذا كانت الساعات ضبطت على النظام الشمسي، فمدة ساعة ما هي إلا قياس مكانيّ قوس قدره خمس عشرة درجة من الكرة الأرضية. "وهكذا فالتآين أمر نسبي. فـ"**الآن**" ليس له معنى واحد، بل له من المعاني بقدر ما هنالك من العوالم. فكل عالم له زمانه المحلي الخاص به وهو وحده، بل أن أي حادثة لا تنسب إلى عالم خاص بعينه، لا معنى لتحديد زمن حدوثها. فلا زمان إلا الزمان المحلي. وكذلك لا مكان إلا المكان المحلي. وكلاهما رهن بالسرعة".[1] وهذا يعني أن الثواني والساعات بل وحتى السنين ما هي إلا مقاييس لموقع الأرض حول الشمس. فكل مقياس هو مقدار نسبي خاضع للزماكانية المحلية، ولا وجود للزمان المطلق ولا للمكان المطلق. وأن كل حقيقة لابد أن توجد في الزمان والمكان معا ولا يمكن الفصل بينهما؛ فأي مقياس زماني هو مقياس مكاني والعكس صحيح ومنه فكل كينونة –مهما كانت– هي جزء من مجالها الحيوي وتكون حقيقتها نسبية.

" فالإنسان الذي يسكن عطارد مثلا سوف يجد للزمن دلالات مختلفة؛ إذ أن عطارد يدور حول نفسه في 88 يوما...وهو في هذه المدة نفسها يكون قد دار أيضا حول الشمس...ومعنى هذا أن طول اليوم العطاردي يساوي طول السنة العطاردية...وهو تقويم يختلف تماما عن تقويمنا..."[2]. فالنسبية ألغت مفهوم المكان المطلق والزمان المطلق، وحل محلهما الزمان النسبي والمكان النسبي. كما ألغت النسبية كذلك التمييز بين المادة والطاقة وذلك بحسب المعادلة التالية:

الطاقة = الكتلة ×مربع سرعة الضوء . ومن هذا يمكن تحويل الطاقة إلى كتلة، وتحويل الكتلة إلى طاقة وعلى هذا "تزول ازدواجية المادة والطاقة التي كانت تفترض سابقا فإذا تحولت المادة من الشكل الكتلي إلى الشكل الإشعاعي نسميها طاقة، وعلى العكس إذا تخثرت الطاقة وأمكننا قياس كتلتها وبالتالي أبعادها المكانية سميناها مادة".[3]

[1] –محمد عبد الرحمان مرحبا، **اينيشتاين والنظرية النسبية** ،(لبنان، بيروت، دار القلم،ط7 ، 1974)، ص ص.77 ،78.

[2] – مصطفى محمود، **اينشتاين والنسبية**، (مصر، القاهرة ، دار المعارف ، ط 7 ،1993) ، ص. 48.

[3] –رائق النقري، **القانون الحيوي للكون**، ص. 283.

فالنسبية أدخلت في الكينونة البعد الرابع الذي هو الزمن،فهذا الأخير له تأثير على معرفة الحقيقة، فلا يمكن تحديد أية معرفة في أية كينونة كانت إلا إذا حددت بالأبعاد الأربعة، والتي تختلف من كينونة إلى أخرى. فمثلا إذا كنت في البحر وأردت تحديد مكانك لا تحتاج إلى أكثر من بعدين هما :الطول والعرض، أما إذا كنت في الطائرة فتحتاج إلا ثلاثة أبعاد هم:الطول، العرض والارتفاع لتحديد النقطة التي أنت فيها بالضبط. ولكن هذه الأبعاد الثلاثة لا تصف حركة الطائرة، لأن وضعها يتغير باستمرار من لحظة إلى أخرى على محور رابع غير منظور وهو الزمن؛ وهنا تصبح الأبعاد الثلاثة لتحديد الموقع غير كافية ، إذ لا بد من تحديد البعد الرابع ألا وهو الزمن، حيث تكون على خط طول كذا ودائرة عرض كذا وارتفاع كذا في زمن كذا." ولأن كل شيء في الطبيعة في حالة حركة...فالأبعاد الثلاثة هي حدود غير وافية للأحداث الطبيعية...والحقيقة ليست ثلاثية في أبعادها لكنها رباعية ...إنها المكان والزمان معا في ''متصل واحد'' ".[1]

هذا ما وصل إليه" **اينشتاين**" ولكن تجدر الإشارة إلى أن النسبية تكلم عنها " **جورج باركلي*** حيث قال:" فأية حركة لا يمكن أن تفهم إلى بعد تعيين الجهة وتحديدها. وهذا لا يمكن تصوره إلا إذا أدخلنا في اعتبارنا وجود أجسامنا ووجود أجسام الأشياء الأخرى فضلا عن وجود الجسم المتحرك نفسه وذلك لان تحت وفوق، ويمين ويسار، وجميع الأمكنة والمناطق قوامها نسبي وتستلزم بالضرورة تعيين جسم آخر خلافا للجسم المتحرك نفسه".[2]

وتعود نسبية الحركة عند **"بركلي"** إلى أسباب ثلاث:

1- وجود الجسم المتحرِك نفسه في الطبيعة.

2- وجود الشخص المدرِك للحركة أو للجسم المتحرَك.

3- وجود أجسام أخرى متحرِكة مع الجسم المتحرِك.

[1]-مصطفى محمود،**اينشتاين والنسبية** ، ص.80.

*جورج باركلي ، فيلسوف بريطاني (ايرلندي) (1685-1753).

[2]-إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**،(مصر، دار المعرفة الجامعية طبع ونشر وتوزيع ،(ج1)،2015)، ص.256.

هذه بنود الحيوية باختصار والتي ستكون مصدر المعرفة عند النظرية الحيوية في الفصل الثالث بعد التعرف على نظرية المعرفة قبل الحيوية عند كل من المثالية والمادية في الفصل الثاني.

الفصل الثاني: المعرفة قبل النظرية الحيوية

المبحث الأول: المعرفة عند المثاليين.

المطلب الأول: "جورج بركلي".

المطلب الثاني: "فريدريك هيغل".

المبحث الثاني: المعرفة عند الماديين.

المطلب الأول:"كارل ماركس"

المطلب الثاني:"روجيه غارودي".

إن ماهية الإنسان أنه كائن مفكر، و ميتافيزيقي يجعل من نفسه – قبل أي شيء- مشكلة ؛ فيتساءل عن معنى وجوده و الغاية منه وعن مصيره ؛ وهل يستطيع معرفة ذلك ؟ و كيف يعرف ؟ و بماذا يعرف ؟ ولماذا يحاول أن يعرف أصلا ؟ كل هذه الأسئلة حاول الإنسان – منذ وجوده و إلى الآن– الإجابة عنها قدر ما يستطيع ." إن مشكلة المعرفة تعد من أهم المشكلات التي ذهب بصددها الفلاسفة إلى مذاهب شتى. ولذلك كانت المعرفة هي المحور الأساسي للفكر الفلسفي برمته ".[1]

ولما كان الهدف من هذه الدراسة هو تعريف النظرية الحيوية باعتبارها نظرية جديدة في الفكر الفلسفي ، فالمنهجية تقتضي التعرض إلى المعرفة قبل نشوء هذه النظرية . و عليه لابد من تسليط الضوء على محور النظريات المعرفية التي سبقتها ، و التي يمكن حصرها في مسألتين : المثالية بشتى أنواعها . و المادية بشتى أنواعها ؛ لأن الفلسفات من بدايتها وحتى اليوم لم تتجاوز القضية الأساسية و هي : أيهما أسبق في الوجود الفكر أم المادة ؟ وإلى الآن لا يوجد من افترض- ولو تسليما – بأنهما (الفكر و المادة) قد وجدا معا من طرف ثالث . ولأنه من غير الممكن الإحاطة بكل نظرية معرفية لكل فلسفة على حده – فهذا يتطلب مجهودات – يمكن الاقتصار على نموذجين من كلا الفلسفتين .

[1]–قباري محمد إسماعيل،**علم الاجتماع و الفلسفة (نظرية المعرفة)**،(مصر ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، (ج 2)، ط1 ، 1989) ، ص .99 .

المبحث الأول: المعرفة عند المثاليـــــــن.

إن الفلاسفة المثاليين بشتى أنواعهم كبقية الفلاسفة الآخرين، اختلفوا حول عملية المعرفة كيف تمم لدى الإنسان؟ ومن الصعوبة بمكان الإلمام بكل المواقف، لذا سأقتصر على "بركلي" و "هيغل".

المطلب الأول: جورج بركلي نموذجا George Berkeley(1685-1753).

سأحاول تناول نظرية المعرفة عند "بركلي" معرجا على نقدها.

1-المعرفة عند بركلي : ناقش **جورج بركلي** في كتابه " **بحث يتعلق بالمعرفة الإنسانية** " سنة 1710 نظرية المعرفة فقال : " فقد رسخ في عقول الفلاسفة أن العقل قادر على التجريد و أن ثمة أفكارا مجردة يستعين بها هذا العقل على التفكير في المسائل الفلسفية العويصة التي تتناولها علوم كالميتافيزيقا والمنطق . هذه الأفكار المجردة ليست إلا مجرد أوهام و قرت في عقول الفلاسفة على أنها حقائق ، مع أنها مصدر الظلام الذي يحيط بالحقيقة، و من واجبنا أن نبعدها عن طريقنا لنرى النور : نور الحقيقة ".[1] في الفقرة السابقة يوضح " **بركلي** " أن اعتقاد الفلاسفة بأن العقل قادر على التجريد مجرد أوهام وضلالات و عليه يجب التخلص من هذه الخرافات للوصول إلى نور الحقيقة ، ذلك لأن نظرية المعرفة عند " **بركلي** " قائمة على مسلمة : " **أن يوجد هو: أن يدرك أو أن لا يدرك**"[2] . فهذه المسلمة تصل بنا إلى إنكار أي وجود مادي – مهما كان – ما لم يكن مدركا من طرف العقل " إن جميع أنواع المادة كما نعرف ، حالة عقلية ، و الحقيقة التي نعرفها مباشرة هو العقل".[3] وهذا يدل على إنكار المادة إنكارا تاما و لا وجود حقيقي إلا للعقل . فكلمة " **مادة** " كلمة **فارغة** لا محتوى لها ولا تشير إلى شيء معين ومحدد بذاته بل كل ما هنالك أنها (المادة) تدل على فكرة جزئية لشيء جزئي ، مثل (قلم ، ورقة ، كتاب، مسطرة ...الخ) أي أنها ترمز إلى أشياء جزئية ، ولا وجود

1-إبراهيم مصطفى إبراهيم،**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**،(مصر، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ،(ج1)،2015)، ص.253.

2 -محمد باقر الصدر ، **فلسفتنا** ، ص. 119.

3-ول ديورانت ، **قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي)** ، تر ، فتح الله محمد المشعشع، (بيروت ، منشورات مكتبة المعارف، ط 6 ، 1988) ، ص. 321.

للكلية في الطبيعة أو الواقع و إنما هي في العلاقة القائمة بين الكلي ومجموع أجزائه ، أي توجد في العقل فقط؛ فلا يوجد في الطبيعة مفهوم القلم والورقة والكتاب والمسطرة ...الخ . فهذه الكليات لا مكان لها إلا في العقل . فالمعرفة عند " **بركلي** " تتكون عن طريق أفكار حسية (لون ، طعم ، رائحة ، حرارة ، برودة ، صلابة، شكل ، امتداد ...الخ). و هذه الأفكار تصل إلى العقل عن طريق مشاعر و تصورات وتأمل و تذكر أو عن طريق الأفكار المركبة من الإحساسات مضافا إليها التأمل .

إن " **بركلي** " لا يؤمن بوجود صفات أولية و صفات ثانوية –كما يزعم "**لوك**"و يري أن كل من الصفات محلها العقل و لا انفصال بين الصفتين ؛ "لأنه لما كانت الصفات الثانوية لا تنفصل عن الصفات الأولية فانه ينبغي أن تكون حيثما تكون الصفات الثانوية ، أي في العقل "[1]. و عليه يكون العقل هو محل وجود أي شيء. و لكن السؤال الذي يوجه إلى " **بركلي** " هو : "إذا كانت المادة غير موجودة فمن أين يمكن إذا أن نأتي بالإحساسات التي تنبثق من داخلنا كل لحظة من دون أن يكون لإرادتنا الذاتية تأثير في انبثاقها و تتابعها ؟ ".[2] يجيب "**بركلي**" عن السؤال بكل ثقة و مصادرة تامة بأن الله تعالى موجود و يتدخل في كل شيء.

خلاصة القول أن المعرفة عند "**بركلي**" تبدأ من الخبرة الحسية حيث تتكون الأفكار الحسية ومن ثمة أفكار ناتجة عنها (ربط ، مقارنة، تخيل، تذكر) إذا " **بركلي** " لا يؤمن باستقلال المادة عن الشخص المدرك ، لأن الأجسام ما هي إلا أفكار أو مجموعة أفكار ؛ و الأفكار تعتمد على الإنسان المدرِك ، فالموجودات كلها أفكار في عقل الشخص المدرِك.

2– نقد بركلـــي : ما يلاحظ على "**بركلي**" أنه جعل الإدراك يتطابق مع الواقع الخارجي ؛ والسؤال الذي يوجه إليه هو : هل بالضرورة يتطابق المعنى المدرك مع الواقع الموضوعي الخارجي ؟ لأن الإحساسات ماهية إلا انفعالات نفسية بالأشياء الخارجية "ولكن ليس من الضروري تكافؤ الإحساس مع الواقع الموضوعي "[3]. فوجود صورة

[1]– إبراهيم مصطفى إبراهيم ، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم** (ج 1) ، ص. 255 .

[2]–محمد باقر الصدر ، **فلسفتنا** ، ص. 120.

[3]–محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص .123.

للمعنى في الإدراك شيء و وجود الصورة الموضوعية المستقلة عن الإدراك شيء آخر، و عليه قد يؤدي الإحساس إلى تصور أشياء لا وجود لها في الواقع (عروس البحر ، العنقاء) . كما أن التسليم بمقولة : "**الوجود إدراك** " تؤدي إلى إنكار الطبيعة كلية و إنكار الآخرين و الانكفاء عن الذات و المثالية الذاتية ، حيث إذا كانت الحقيقة محصورة في الإدراك و التصورات الذهنية . فكيف يحق الاتصال بالآخرين و الاعتقاد بوجودهم وهم مجرد أفكار و تصورات في الذهن ؟ إن فكرة هذا هو فحواها تستلزم عدم مخاطبة أي شخص وعدم الكتابة أو المحاضرة أو أي شيء آخر، لا تستلزم شيئا إلا الصمت.

المطلب الثاني: فردريك هيغل نموذجا: Friedrick Hegel (1770–1831).

سأتطرق إلى نظرية المعرفة عند "هيغل" مع منهجه الديالكتيكي ثم نقده بعد ذلك.

1 – المعرفة عند هيغل : يقول "**هيغل** " : "إن امتحان المعرفة لا يمكن أن يتم بغير أن نعرف ...و أن نريد المعرفة قبل أن نعرف هو خلق أشبه ما يكون و النصيحة الحكيمة التي أطلقها أحد الأسكوليين : تعلم السباحة قبل أن تغامر بالنزول في الماء" [1]. "و يستخدم **هيغل** مجازا تعلم السباحة ؛ فإذا لم يدخل المرء إلى الماء فلا يمكنه تعلم السباحة ، وبالطريقة نفسها لا تتسنى للمرء المعرفة دون الانغماس بالفعل في ما ينبغي معرفته "[2] في هاتين الفقرتين يرى "**هيغل** " أن المعرفة ممكنة و ليست مستحيلة ، و لكنها مشروطة بالممارسة و الجانب التطبيقي ؛ فكما أنه يستحيل تعلم السباحة خارج الماء ، فانه يستحيل الوصول إلى المعرفة دون الانغماس في الموضوع المراد معرفته؛ و الانغماس هنا معناه عدم فصل الذات العارفة عن الموضوع المعروف، فهما في حالة جدلية متناقضة إذ يقول "**هيغل** ":"كل الأشياء متناقضة في ذاتها "[3]. إن منطق "**هيغل** " في الوجود كله قائم على التناقض ولا يمكن إدراك الحقيقة إلا من خلاله حيث عبر عنه في عبارته "يتحرك الشيء، لا لأنه هنا في وقت ما و هناك في وقت آخر ، و إنما يتحرك لأنه هنا و ليس هنا في الوقت

1–رنييه سيرو ، **هيغل و الهيغيلية** ، تر، أدونيس العكرة ،(بيروت ، دار الطليعة ، ط 1 ، 1993) ، ص 13.

2–أندرو بووي ، **الفلسفة الألمانية (مقدمة قصيرة جدا)** ،تر، محمد عبد الرحمان سلامة، (مصر ، القاهرة ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، ط 1، 2015) ، ص. 47.

3–رنييه سيرو ، **هيغل و الهيغيلية** ، ص. 14 . .

نفسه ، لأنه يكون و لا يكون معا في المكان نفسه "[1]. بهذا المنهج الديالكتيكي يشرح"**هيغل**" نظريته في المعرفة؛فأول خطوة-عنده- هي الثورة على شتات الواقع الجزئي الخالص ،حيث المعرفة المباشرة جزئية؛فالمعرفة الحقيقية هي المعرفة غير مباشرة والتي تكون عن طريق المبدإ الكلي والحقيقي الذي هو الفكر،ولا شيء موجود – حسب **هيغل**- غير الفكر. وبناء عليه إذا أردنا أن نفهم الوجود فعلينا أن نفهم الفكر أولا ، لأن قوانينه هي نفسها قوانين الطبيعة .

فالديالكتيك يشمل الكينونة بأكملها ، وهنا يتجلى تأثير **ارسطو** في **هيغل** "...ووجهة التأثير هي اعتبار قوانين الفكر هي قوانين الطبيعة"[2].فالفكر هو جوهر الأشياء الخارجية كلها (الطبيعة بأجناسها وأنواعها)."فان الفكر هو العنصر الكلي الموجود في كل تصور و في كل تذكر وهو يوجد بصورة عامة في كل نشاط ذهني،وفي كل إرادة و رغبة ،وما شابه ذلك"[3] .

إن المعرفة لا تتم إلا من خلال الذات العارفة و الموضوع المعروف و العلاقة بينهما ، حيث النشاط المعرفي عليه تحويل الشيء في ذاته إلى شيء لذاته يمكن إدراكه . " مثلا: المنضدة لا معنى لها ولا تفهم جيدا إلا من ناحية علاقتها بالشجرة و النجار و استخدامي أنا لها (أكتب أو أتناول طعامي فوقها) فهي ليست مستقلة عن غيرها من موجودات العالم "[4]. وكذلك إذا أردنا مثلا معرفة " أ هو خال ب " فهذه قضية تفرض نقيضها الذي هو " ب ابن أخت أ" ومن القضيتين ينتج المركب الذي هو" الخال و ابن الأخت " . ولكن هذه معرفة ناقصة لا تتم إلا إذا عرفنا أن الأخت أنجبت ابنا والابن له أب، وهكذا تتسع دائرة البحث عن معرفة العلاقات الأخرى ، لأنه لا شيء حقيقي بالفعل ما لم يكن مطلقا ككل . وفي شرح كيفية المعرفة لدى"**هيغل**"يقول "**برتراند راسل BERTRAND RUSSELL**" (**1872-1970**) *: "ولما كان لكل شيء – باستثناء الكل - علاقات بالأشياء الخارجية فيترتب على ذلك أن لا

1- رنييه سيرو ، **هيغل و الهيغيلية** ، ص ..14

2- رائق النقري ، **القانون الحيوي للكون**، ص.117

3 - رنييه سيرو ، **هيغل و الهيغلية** ، ص. 27 .

4-عبد الفتاح إمام ، **دراسات هيغلية**، (القاهرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ،1984) ، ص.18

شيء حقيقي تماما يمكن أن يقال عن الأشياء المنفصلة وأن الكل فقط هو الحقيقي بالفعل " [1] . فالمعرفة الهيغلية ثلاثية الحركة ؛ تبدأ بالإدراك الحسي (الوعي بالموضوع) ثم الشك في الحواس و نقدها حيث التوصل إلى معرفة ذاتية و من ثَمة معرفة الذات و الوعي بها وهو أعلى صور المعرفة (معرفة المطلق) و المطلق لا يفكر إلا في ذاته لأنه هو الكل ولما كان هو كذلك فليس ثمة ما هو خارجه ليعرفه.

2- نقد هيغـــل : إذا كان الحقيقي بالفعل هو الكل فقط ، ففي المثال السابق " أ هو خال ب " . عبارة عن حكم ، ولكن قبل فهم و إصدار هذا الحكم يجب معرفة - حسب **"هيغل"** –أ الذي هو خال و كذا معرفة ب الذي هو ابن أخت . ولكن معرفة الخال تتطلب معرفة جميع خصائصه حتى يتميز عن الآخرين، ولكن معرفة

هذه الخصائص تستدعي أناسا آخرين و أشياء أخرى (الوالدان ، الزوجة ، الأبناء ، البلد ،.....الخ) وهذا يقود إلى العالم ككل، بحيث يتحول الحكم على الخال إلى ذكر و معرفة الأشياء عن العالم ككل لا عن الخال فقط.وهنا يتساءل "**رسل**":"إذا كانت الحجة آنفة الذكر صحيحة ، **فكيف يتأتى للمعرفة أن تبدأ بالمرة؟**".[2] ويجيب عن سؤاله بنفسه فيقول:"و الواقع انه (هيغل) ، لو كان على حق ، لما أمكن لأية كلمة أن تبدأ بأن يكون لها معنى،مادمنا في حاجة إلى أن نعرف مسبقا معاني كل الكلمات الأخرى لكي نبسط كل الصفات التي تدل عليها الكلمة "[3].وهذا أمر يكاد يكون أقرب إلى الخيال منه للواقع، لأن معرفة الخال لا تتطلب معرفة كل علاقاته، قريبة أو بعيدة عن العالم .

1-برتراند راسل ، **تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة الحديثة)** ، تر، محمد فتحي الشنيطي، (مصر ،المطبعة المصرية العامة للكتاب، 1977)، ص. 355 .

*فيلسوف و رياضي و كاتب انجليزي اشتغل بعلم المنطق و نظرية المعرفة .

2-برتراند راسل ، **تاريخ الفلسفة الغربية (الفلسفة الحديثة)** ، تر، محمد فتحي الشنيطي، (مصر ،المطبعة المصرية العامة للكتاب، 1977)، ص. .371

3-المرجع نفسه، ص.372 .

كما لوحظ أن "**هيغل**" لم يفهم مبدأ عدم التناقض حق الفهم حيث ألغاه و وضع موضعه مبدأ التناقض .كيف يستطيع "**هيغل**" أن يشرح لنا التناقض أو النفي أو الإثبات، المجتمعين في مفهوم الوجود؟".[1] إذ كيف يمكن فهم مقولة "**هيغل**":"يتحرك الشيء لا لأنه هنا في وقت ما وهناك في وقت أخر، وإنما يتحرك لأنه هنا وليس هنا في الوقت نفسه، لأنه يكون و لا يكون معا في المكان نفسه ".[2] فإذا كان كل شيء يحمل نقيضه فما هو نقيض الديالكتيك؟ بعبارة أخرى هل الديالكتيك حقيقة مطلقة أم نسبية؟ فإذا كان حقيقة مطلقة انعدمت الحركة و من ثمة الديالكتيك؛وان كان حقيقة نسبية وجب أن يتطور الديالكتيك بحكم الحركة إلى نقيضه[3].

ولا تزال أسئلة تطارد الديالكتيك إلى اليوم منها:

1-هل كل موضوع يستدعي نقيضه؟ وهل هذا النقيض يفرض نفسه على الذهن؟.

2-هل التركيب هو فعلا تركيب صحيح من حيث التناقض؟.

3-هل هذا التركيب هو التركيب الوحيد الممكن ولا يمكن إنكاره؟.

4-هل كل تقدم في العلم أو الفلسفة راجع للتناقض ؟.

إن ديالكتيك "**هيغل**" في المعرفة أصبح مثل قصة سرير **بروكست** "وبروكست :هو لمن لا يعرفه ،قاطع طريق الميثيولوجيا الإغريقية كان يمدد ضحاياه على سريره،فإذا كان الجسد الممد أطول من حجم السرير يقطع الجزء الزائد.وإذا كان العكس فانه يقوم بتمطيط جسد الضحية ليصبح بحجم السرير."[4]

[1] محمد باقر الصدر،**فلسفتنا** ، ص.226 .

[2] رنييه سيرو،**هيغل و الهيغلية** ، ص.14 .

[3] محمد باقر الصدر،**فلسفتنا** ، ص. 195 .

[4] -حمزة رستناوي ، **أضاحي منطق الجوهر** ،(دمشق ، دار الفرقد للطباعة و النشرو التوزيع ،ط1،2008)، ص.21

المبحث الثاني:المعرفة عند الماديييـــــــن.

إن الفلسفة المادية كانت دائما عبر التاريخ معارضة للفلسفة المثالية. حيث ترى أسبقية الوجود المادي عن الفكر والروح.

المطلب الأول:كارل ماركس نموذجا : KARL MARX (1818-1883).

سأتناول في هذا المطلب كيفية المعرفة عند ماركس ونقده بعد ذلك.

1-المعرفة عند ماركس:يقول **"ماركس"**:"ليس الشعور هو الذي يحدد و جود الإنسان .ولكن على العكس فإن الوجود الإجتماعي هو الذي يحدد ذلك الشعور".[1]

ويقول كذلك:"ليست حركة الفكر إلا انعكاسا لحركة الواقع منقولة و محولة في مخ الإنسان."[2] في هاتين المقولتين يوضح **"ماركس"**أسبقية الوجود(الطبيعة) عن الفكر(الوعي). فمشكلة المعرفة لديه تكمن في إمكانية أو عدم إمكانية الفكر البشري على معرفة الحقيقة ".هل فكرنا على مستوى القدرة على معرفة الحقيقة ،فهل تعكس تصوراتنا و أفكارنا الحقيقة الواقعية بأمانة؟"[3]. و تجيب الماركسية بأن الفكر يستطيع ذلك ؛ فالمفاهيم و الأفكار و التصورات ما هي إلا انعكاسات صداقة و أمينة للواقع المعيش ؛ فالبنية الفوقية (**super structure**) والتي تتمثل في الفلسفة و الايديولوجيا والدين والسياسة والأخلاق و الفن...الخ.ما هي إلا مجرد انعكاس للبنية التحتية(**infra structure**) و التي تتمثل في الاقتصاد و وسائله الإنتاجية ."السياسة و الدين و الفلسفة والفن في أية حقبة من حقب التاريخ البشري تكون طبقا لماركس ،نتاجا لطرائقها(البنية التحتية) في الإنتاج و إلى حد اقل في التوزيع"[4]. فكل معرفة عند الماركسيين تبدأ من الطبيعة ، فالإحساسات ما هي إلا انعكاسات للطبيعة ، حيث يتم التأثير على الأفكار؛ فالمعارف ما هي إلا إجابات

1-قباري محمد إسماعيل ،**علم الاجتماع و الفلسفة (نظرية المعرفة)**،(ج2)،ص..124

2- محمد باقر الصدر ،**فلسفتنا** ، ص.223.

3-الياس فرح، **تطور الفكر الماركسي(عرض ونقد)**، (لبنان ، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر ، ط6 ،1981)، ص41.

[4] برتراند راسل،**تاريخ الفلسفة الغربية** ، ص.429.

على الحاجات المادية .يقول **"انجلز"**:"...ولكن إذا تساءلنا عن ماهية الفكر و المعرفة و عن مصدرهما، و جدنا انه العقل الإنساني، و طالما أن الإنسان نفسه هو من إنتاج الطبيعة الذي نما و تطور في محيط طبيعي معين، ومع هذا المحيط،فيغدو من البديهي أن نتاجات العقل الإنساني التي هي أيضا في أخر المطاف نتاجات للطبيعة"[1].وهكذا يقر"**انجلز**" ويعترف بأن الوعي و الإدراك ليس لهما مصدر في الأخير غير الطبيعة؛ فهي المصنع و الأصل لإنشاء وتكوين الفكر. فالماركسية تتبنى أسبقية المادة عن الوعي ،وترى أن تغير المادة يتبعه حتما تغير في الوعي.إن الأولوية في المعرفة تكون للواقع الموضوعي الخارجي والمستقل عن الذات؛وما الفكر إلا تحليل و تركيب للإحساسات للوصول إلى ماهية الأشياء.

2-نقـد ماركـس:مدام المنهج واحدا عند كل من **هيغل** و **ماركس** و أن اختلافا في الانطلاقة ، حيث"**هيغل**" هبط من الأعلى إلى الأسفل و "**ماركس**"صعد من الأسفل إلى الأعلى ؛ فالديالكتيك واحد لديهما وعليه يكون النقد الموجه إلى "**هيغل**"هناك هو نفسه صالح هنا ليوجه إلى "**ماركس**"نفسه. ويضاف إلى "**ماركس**"الأتي:"فإذا كان هذا التطور الديالكتيكي قانونا عاما ينطبق على جميع النظم الاجتماعية ؛ فلماذا لم يقرر ماركس أن النظام الاشتراكي الذي سيخلف النظام الرأسمالي يحوي هو الآخر بذور فنائه ، وأنه حلقة في سلسلة التطور الديالكتيكي شأنه شأن النظم الاجتماعية الأخرى، وبالتالي يكون عرضة للزوال؟".[2] فهل كل الدوافع هي دوافع اقتصادية مادية؟ألا توجد دوافع أخرى –ربما- تكون أكثر قوة و إلحاحا من غيرها ؛ مثل الدوافع السياسية أو العسكرية بل و حتى الدينية...الخ.

إن"الملابسات الاجتماعية التي يجب إدخالها في اعتبارنا هي ملابسات سياسية بقدر ما هي ملابسات اقتصادية ، فعليها أن تنصبَ على القوة التي تكون الثروة شكلا واحدا فقط من أشكالها"[3]. وهذا ما أثبته الواقع الميداني عبر التاريخ

1-إبراهيم مصطفى إبراهيم ،**الفلسفة الحديثة**، (ج2)، ص.200.

2-المرجع نفسه،ص.224.

3-برتراند راسل،**تاريخ الفلسفة الغربية** ، ص.430.

مثل **معاهدة فرساي** ، و **مشروع مارشال** و **البرسترويكا**...الخ."فلقد كانت للقرارات السياسية قوة تأثير كبيرة على التطور الاقتصادي أقوى من تأثير نمط الإنتاج الاقتصادي على الشؤون السياسية"[1].

المطلب الثاني: روجيه غارودي نموذجا: ROGER GARAUDY (1913-2012).

يقول "**رائق** " : " ثمة مقاطع خاصة بإسهام " **روجيه غارودي** " في الفكر الماركسي الرسمي . وقد كتبت هذه المقاطع بهذه الحدة على الرغم من علمنا بان "**غارودي** " تراجع عن هذه الأفكار . إلا أن نراجعه لم يرافقه عملية نقدية دقيقة و شاملة لما كتبه سابقا . بل اكتفى بالاعتذار عنها و حسب . و ثمّ تعديلها في كتابه " **ماركسية القرن العشرين** " . وهو الآن بتبنيه للإسلام فإنه مُطالب بنقد تفصيلي لهذه الماركسية . و الماركسية المنقحة من خلال الإسلام وبنفس الأسلوب و الصيغة التي كان يبرر فيها ماركسيته . وقد أكد موافقته على انتقادي له و للماركسية الرسمية مُحاولا أن يؤكد بأن الماركسية التي انتقدها هي ماركسية ميتة ، ولا داعي أساسا لانتقادها . و الأفضل الرجوع إلى ماركس نفسه"[2].

في هذه الفقرة يعترف "**غارودي** " بالنقد الموجه إليه من طرف "**رائق**" بيد أنه لم يقم بنقد الماركسية؛ حيث تراجع واكتفى بالاعتذار فقط . مع العلم بأن هذا غير كاف من فيلسوف مثله ، لقد أكد أن الماركسية التي تراجع عنها هي الماركسية الرسمية الحزبية وهي لا تمثل "**ماركس**" في فهم "**غارودي**" . وهذا الموقف مما قد يوحي بأن الخطأ لا يكمن في النظرية المادية الماركسية ن وإنما الخطأ في كيفية الفهم و التطبيق ، ومنه تظل أفكار "**ماركس**" المادية قائمة و صحيحة ، مادام لم يُقدم لها نقدا واضحا وصريحا كما طلب "**رائق**" . وبناء على ما سبق يكون من المستحسن عرض أفكار "**غارودي** " و نقدها .

1-المعرفة عند غارودي: يقول "**غارودي** " في مدخل كتابه " **النظرية المادية في المعرفة** " : " إن المشكلة الأساسية لكل فلسفة هي مشكلة بدئها ... من أين تبدأ ؟ أبالأشياء أم بالوعي المتكوّن لدينا عن هذه الأشياء ؟ هل الروح أولية

[1]-إبراهيم مصطفى إبراهيم ، **الفلسفة الحديثة** ، (ج2)، ص.225.

2- رائق النقري ، **المنطق الحيوي** ، **عقل العقل** ،(ج **1**)، ص.24 .

بالنسبة للطبيعة أم أن الطبيعة هي العنصر ذو المقام الأول الذي سيكون الفكر ازدهاره الأسمى في نهاية تطور طويل ؟".[1]

هنا يطرح "**غارودي** " هذين الخيارين فقط ويسد الباب أمام أي اجتهاد أخر في احتمال وجود خيار ثالث – ولو افتراضا- فهاهو يقول :" لا توجد "طريق ثالثة " للإفلات من هذا الخيار ، خيار المثالية ، والمادية".[2]

إن "غارودي " يُجيب بصراحة تامة عن سؤاله السابق . من أين تبدأ ؟ بأن البداية تكون من الطبيعة ؛ المقام الأول، و ما الفكر إلا مجرد انعكاس تام و أمين إلى هذه الطبيعة . فالواقع الخارجي موجود و مستقل عن إحساساتنا وادراكاتنا عكس-نظرية "**بركلي**"- . فالمعرفة بجميع مستوياتها ، ابتداء من الإحساسات و وصولا إلى المجردات، ما هي إلا انعكاسات شخصية ذاتية للوضع المادي و الاجتماعي للإنسان ؛ فالأفكار و التصورات والمفاهيم هي عبارة عن ردود أفعال لوسائل الإنتاج. يقول"**غارودي**" : "إن المعرفة على جميع مستوياتها من الإحساس إلى الفكر المجرد،ومن المنطق الصوري إلى الديالكتيك،هي انعكاس ذاتي للواقع الموضوعي " [3].

ويقول كذلك : " فأشكال الفكر و قوانينه هي انعكاسات لواقع موضوعي واحد و نتيجة لعمل الناس المتمرس المتكرر ألاف المرات" [4].

إن النظرية المادية تقوم على مسلمتين اثنتين هما : المسلمة الأولى هي : "إن المادة هي ، بالتالي ، الواقع الأول وليست إحساساتنا و فكرنا سوى هذا الواقع و انعكاسه [5].

والمسلمة الثانية هي : ينطبق المنطق الديالكتيكي سواء على دراسة قوانين الفكر وأشكاله وعلى دراسة قوانين الوقع. فهو يكتشف الصلة العضوية بين أشكال الفكر و قوانينه و بين قوانين العالم الموضوعي مظهرا أنها ليست شيئا أخر سوى انعكاس قوانين العالم الموضوعي "[6] .

1- روجيه غارودي ، **النظرية المادية في المعرفة** ، تع ،إبراهيم قريط،(دمشق ، دار دمشق، ط1،د ت) ، ص. 325.

2-المرجع نفسه ، ص..05

3-المرجع نفسه ، ص..325

4-روجيه غارودي ، **النظرية المادية في المعرفة** ، ص. .321

5- المرجع نفسه، ص..325

6- المرجع نفسه، 325

إن مفهوم الانعكاس مفهوم علمي أكثر منه مفهوم فلسفي . فكلمة "**الانعكاس** " تعني أن الضوء ينعكس على السطح المصقول (المرآة) ويعود بنفس زاوية الورود . ولكن هذا التفسير الميكانيكي في عهد " **إسحاق نيوتن**" (**1643–1727**) **ISSAC NEWTON*** قد تجاوزه الزمن . " وقد أحرز القرن العشرون بالفعل فتوحات باهرة ، ولكنها لم تكن بأي حال من النوع المتوقع . فالاكتشافات الجديدة لم تكمل فيزياء "**نيوتن** " بل **أطاحت** بها.ففي المقام الأول **هدم** "**أينشتاين** " في عام 1905 ركنين أساسيين من النظام القديم . فالنظرية النسبية الخاصة قادت علم الفيزياء إلى **التخلي** إلى الأبد عن فكرتي المكان المطلق و الزمان المطلق" [1] ولكن بالرغم من وجود النظرية النسبية التي غيرّت كل المفاهيم السابقة إلا أن "**غارودي** يصر على أن

الفكر هو مرتبط بالواقع و يعكسه بكل أمانة وأنه توجد حقائق مطلقة و أزلية يعطيها الفكر المطلق كذلك . فهو يقول: " يحق للمادية الديالكتيكية أن تتحدث عن حقائق مطلقة و أزلية ... إن فكر الإنسان مطلق بطبيعته، أي أنه قادر على إعطائنا و هو يعطينا بالفعل ، حقيقة مطلقة ".[2] فالفكر الإنساني إذن هو فكر مطلق – عند **غارودي**– ويستطيع الوصول إلى الحقائق المطلقة وذلك بواسطة المنهج الديالكتيكي الذي يشمل الكينونة بكاملها.

2–نقـد غارودي : إن "**غارودي** " يكفي فيه نقد الماركسية ، بل نقد المنهج الديالكتيكي ككل ، مادام "**غارودي**" لم يأت بجديد في المنهج ، وإنما حاول تبسيط و تفهيم الجدلية الماركسية العلمية –حسب زعمه– وبما أنه يرى أن الفكر هو انعكاس أمين للواقع فالسؤال الموجه إليه الآتي : إذا كان الأمر كذلك كيف نفسر الأخطاء في التجارب العلمية؟ ثم "هل التفسير المادي للفكر أو الإدراك ، يختص بأفكار الديالكتيكيين خاصة ؟ أو يعم أفكار غيرهم ممن لا يؤمن بالدياليكتيك

*–رياضي و فيزياوي انجليزي ،اكتشف قانون الجاذبية ووضع علم التفاضل و التكامل،واكتشف ألوان الطيف السبعة التي يتألف منها اللون الأبيض.

1– روبرت م . أغروس و جورج ن . ستانسيو ، **العلم في منظوره الجديد**، تر ، كمال خلايلي (الكويت،مطابع الرسالة،1989)،ص.21.

2–روجيه غارودي ، **النظرية المادية في المعرفة** ،ص ص342،341.

أيضا ؟" [1] . بعبارة أخرى هل هذا التطور الدياليكتيكي يشمل جميع أفكار البشرية ، أم أن التطور خاص بالماركسيين ؟ إذا كان الأمر كذلك يشمل جميع البشر ، فلماذا لم تتطور أفكار المثاليين حتما- و بالطريقة الجدلية إلى المادية ؟. و خلاصة القول"إن الحقائق الجديدة التي كشفتها نظرية النسبية و ميكانيكا الكم لا يمكن أن تتواءم مع النظرية القديمة. فلا هيكل المكان—الزمان، و لا خواص الجسيمات الأولية يمكن أن يوصفا دون الرجوع إلى مراقب مشارك،أي إلى عقل.ولقد كانت النظرة القديمة لا تتضمن إلا المادة والقوانين الطبيعية .أما النظرة العلمية الجديدة فمن المحتم عليها أن تتضمن المادة والقوانين الطبيعية و العقل ."[2] نتيجة لهذا التطور العلمي جاءت النظرية الحيوية في المعرفة باعتبارها بديلا عن كل النظريات الفلسفية السابقة .وهي موضوع الدراسة في الفصل الثالث .

1-محمد باقر الصدر ، **فلسفتنا** ، ص ص246،247..

2-روبرت م أغروس وجورج ن ستانسيو، **العلم في منظوره الجديد** ،ص. 23.

الفصل الثالث: المعرفة عند النظرية الحيوية

المبحث الأول: الواقع والإحساس.

المطلب الأول: الواقع شكل معرفي.

المطلب الثاني:الإحساس شكل معرفي.

المبحث الثاني: الإدراك والحقيقة.

المطلب الأول: الإدراك شكل معرفي.

المطلب الثاني: الحقيقة شكل معرفي.

المطلب الثالث : نقد النظرية الحيوية .

إن صاحب هذه النظرية يرى أنه من الخطإ التمييز بين مقولة"**جوهر**"ومقولة "**عرض**"،و هذا الخطأ الفادح الذي وقعت فيه كل الفلسفات السابقة عن النظرية الحيوية. فبعد النظرية النسبية التي أثبتت إمكانية تحويل المادة إلى طاقة وتحويل الطاقة إلى مادة، لم يعد هناك مبرر للتمييز بين كلمة "**مادة**"و"**روح**"أو"**كتلة**"و"**طاقة**".يقول "**رائق**":"الخطأ ينجم من التسليم بوجود شيء يدعى مادة و شيء يدعى روحا ،وذلك لأن شيئا من هذا القبيل ليس موجودا إلا في تفكير الماديين و الروحانيين... لا يوجد جوهر إنما يوجد شكل".[1] لذا يرى "**رائق**"انه **يجب إعادة النظر في كل الفلسفات السابقة عن النسبية**،لاسيما في نظرية المعرفة؛فإذا كانت جميع الفلسفات بشتى أنواعها تؤمن بفكرة "**جوهر**"، فهل صحيح أن هذه الفكرة هي مجرد محض افتراض؟ هذا ماتراه الحيوية وذلك من خلال شرحها لكيفية الحصول على المعرفة.إذا **فكيف تتم المعرفة البشرية عند النظرية الحيوية؟وما البديل الذي قدمته؟**

1-رائق النقري،**النظرية الحيوية في المعرفة**،ص.144.

المبحث الأول: الواقع و الإحساس.

في هذا المبحث نتناول الواقع والإحساس باعتبارهما البداية في أي معرفة، حيث لا يمكن أن تتم بدونهما.

- **المطلب الأول:الواقع شكل معرفـــي:**

إن الواقع هو بداية الانطلاق في عملية المعرفة، فهل هو واحد لدى الجميع في كل زمان ومكان؟ بل هل هو واحد عند الفرد الواحد في كل زمان زمكان؟

الواقع:هو الحاصل،هو ما حدث وما وجد بالفعل، وهو مرادف للحادث[1].

يقول "**رائق**":"شيء واقع،أي شيء موجود و يوجد.ويقال واقعة أي حادثة.و التوقع هو احتمال الحدوث. والوقائع هي حوادث موجودة.و الواقع هو الوجود.هو الكون"[2]. فالواقع عند "**رائق**" هو الحدوث،هو الوجود،وهو الكون.و الجدير بالملاحظة هنا أن"**رائق**" ينبه أن الواقع –عنده- يشمل حتى الخيال بخلاف المفهوم الشائع بأن الواقع هو عكس الخيال يقول :" وهنا يجب التنويه لأن الاستعمال الشائع لكلمة الخيال كعكس لكلمة الواقع هو استعمال خاطئ ، لأن الخيال هو كخيال هو عبارة عن واقع سواء أكان المقصود واقعة التخيل كعملية التخيل أو واقع التخيل ، أي موضوع التخيل"[3]. فالتخيل واقع موجود سواء تعلق الأمر بعملية التخيل في ذاتها أم بموضوع

التخيل ، فكلاهما موجود باعتباره خيالا موهوما "الوهم يوجد كواقع موهوم" [4]. فالواقع هو الكينونة ولكن السؤال المطروح هو .هل الواقع واقع واحد لدى الجميع ؟ بل هل الواقع واقع واحد لدى الفرد الواحد في كل زمان و مكان ؟ يجيب "**رائق**" بقوله : "يختلف واقع كل كائن بحسب أنماط مواقعته؛ فالواقع بالنسبة إلى الذبابة يختلف عن الواقع بالنسبة إلى السياسي ، و يختلف واقع كل منا بحسب كون مواقعته متفردة أم متشخصنة "[5] . من هذه المقولة نستخلص أن الواقع

1جميل صليبا، **المعجم الفلسفي** ،(لبنان ،بيروت، دار الكتاب اللبناني ،مكتبة المدرسة ،ج2 ،1982)،ص.552.

2-رائق النقري ، **النظرية الحيوية في المعرفة** ، ص.172.

3-المصدر نفسه،ص.172.

4-رائق النقري، النظرية الحيوية في المعرفة،ص.172.

5- المصدر نفسه،ص.173.

مختلف و متغير من عدة جوانب:متغير لأنه في حركة دائمة منسوبة إلى الزمان ، ومتغير كذلك لأن معايشتنا له متغيرة حسب درجة الإنسانية المعيشة ، ومتغير أيضا لأن معرفتنا له متغيرة ؛ فواقع المريض غير واقع المعافى ، وواقع السجين غير واقع الطليق و هكذا واقع الجائع ، و المنهزم ، والشيخ ، والذكر،والسياسي، والعالم ، والمنتج ، و المهاجر ، والمظلوم ، ...الخ . فلكل هذه الأسماء و أضدادها كذلك لها واقع مختلف . بل واقع كل واحد يتغير بين الفينة و الأخرى ، ومن هنا يأتي السؤال :كيف يكون إحساسنا بهذا الواقع؟.

- **المطلب الثاني : الإحساس شكل معرفـــي :**

إن الإحساس هو بداية المعرفة والاتصال بالعالم الخارجي ، وهذا ما سأتطرق إليه في هذا المطلب.الإحساس هو ظاهرة لا غير [1] ، إذا كان الإحساس مجرد ظاهرة لا غير ، و الظاهرة " تدل على ما يمكنك رؤيته أو ملاحظته "[2]. فالظاهرة تكون زمكانية و بالتالي متغيرة ،ومنه يكون الإحساس متحركا متغيرا بصيغ متنوعة أي

يكون عبارة عن شكل .يقول " **غارودي** " : إن المعرفة على جميع مستوياتها ، من الإحساس إلى الفكر المجرد ، و من المنطق الصوري إلى الديالكتيك ، هي انعكاس ذاتي للواقع الموضوعي "[3]. إن مقولة "**الانعكاس**" هذه يرى "**غاستونباشلار**"*أنها تحتاج إلى إعادة نظر حيث يقول : **"**إن تحليلنا لحدوسنا المشتركة الشائعة تحليل خادع وأن أبسط الأفكار ، مثل فكرة الصدمة و الارتكاس و الانعكاس المادي أو الضوئي تحتاج إلى أن نعيد فيها النظر**"** [4].

فالملاحظ أن مفهوم " **الانعكاس** " مفهوم ميكانيكي تجاوزه الزمن ، تجب إعادة النظر فيه ؛ حيث يصعب إسقاطه على النشاط البشري يقول " **النبهاني** " : "لا يوجد انعكاس بين المادة و الدماغ ، فلا الدماغ ينعكس على المادة و لا المادة تنعكس على الدماغ . لأن الانعكاس يحتاج إلى وجود قابلية للانعكاس في الشيء الذي يعكس الأشياء كالمرآة و الضوء

1-جميل صليبا ،**المعجم الفلسفي** ،(ج1)،ص.467.

2-المرجع نفسه،ص.433.

3-روجيه غارودي ،**النظرية المادية في المعرفة**،ص. 325.

*غاستونباشلار(1884-1962) "GASTON BACHELARD" فيلسوف فرنسي

4-غاستونباشلار ،**الفكر العلمي الجديد** ،تر ، عادل العوا(لبنان ،بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع،ط2،1983)، ص.73.

، فإنها تحتاج إلى قابلية الانعكاس عليها و هذا غير موجود ، لا في الدماغ و لا في الواقع المادي ، و لذلك لا انعكاس بين المادة والدماغ مطلقا "[1] في هذه الفقرة يؤكد " **النبهاني** " استحالة الانعكاس بين الدماغ و الواقع ، لأن شروط الانعكاس غير متوفرة بتاتا و مع ذلك تصر الماركسية على أن الإحساس هو انعكاس للواقع الموضوعي .

علما أن الواقع متغير ، مما يترتب عن ذلك أن يكون الإحساس متغيرا بحسب الصيغ والتشكيلات . فلو نأخذ- مثلا – الإحساس البصري ؛ فالعين لا تعمل بمعزل عن جميع الأعضاء (القلب ، المعدة ،الرئة ...الخ) و لا بمعزل عن المؤثرات الخارجية (الضوء ، الحرارة ...الخ) و لا بمعزل حتى عن الهرمونات ، كما يتدخل المجال الحيوي الذي يعيشه الإنسان ؛عقيدة (مؤمن ، ملحد...) ، شريعة(مسلم ، مسيحي ...) ،طائفة (سني ، شيعي ، خارجي ، معتزلي ، كاثوليكي ، أرثودكسي ...)، مذهب(مالكي، شافعي...الخ) ، نظام سياسي (ديموقراطي ، ديكتاتوري) ، نظام اقتصادي (رأسمالي ، اشتراكي..)،سياسة (ثائر، مؤيد..الخ)،جنس(ذكر، أنثى)،سن(كبير، صغير) جغرافيا (صحراء ، بحر ..الخ) ، عرق(أبيض ، أسود..الخ) ، سكن (مقيم ، مهاجر ..الخ) ، مهنة (عامل، عاطل ..الخ) ، صحة ، مرض ، علم ، أمية ، إنتاج ، استهلاك ، تعب ، راحة ، كسل ، اجتهاد ، منتصر ، منهزم ، مثالي ، واقعي ...الخ ، كل هذه العوامل متداخلة ومتفاعلة و متكاملة مع بعضها يتأثر و يؤثر في الإحساس بالرؤية و في الزاوية المنظور منها و المنظور إليها ، بحيث لا يكمن أن نجد إحساس رؤية واحدة موحَدة عند شخصين مهما كانا و كيفما كانا و أين كانا و متى كانا؟ ، ولهذا يكون لكل إحساس بصري شكل خاص به ، بل إحساس الشخص الواحد يتغير من شكل إلى شكل حسب المعيشة الإنسانية.

وما يقال عن الإحساس البصري يقال عن جميع بقية الإحساسات الأخرى " المرئيات أو السمعيات أو الشَميَات هي عبارة عن (تواتر منبهات) لها "تناغم" معين مع تراكيب فيزياوية ، كيمياوية ، تتحول إلى كهرباوية ، تتصل بمراكز موازنة الترددات ، فتظهر الأشكال المعيشة كمرئيات أو شَميَات أو سمعيات ...الخ "[2].

1-تقي الدين النبهاني ، **كتاب التفكير**،(بيروت ، ط1 ،1973)، ص ص.9، 10. .

1-رائق النقري ، **النظرية لحيوية في المعرفة** ، ص. 132.

المبحث الثاني : الإدراك و الحقيقة .

إن الهدف من دراسة الواقع والإحساس هو الوصول إلى ادراك الحقيقة، فما الإدراك والحقيقة؟

• المطلب الأول : الإدراك شكل معرفـــي :

لقد اختلف الفلاسفة جميعهم في تفسير عملية الإدراك حيث نظروا إليه من زوايا مختلفة، فما هو الإدراك؟

الإدراك هو شعور الشخص بالمؤثر الخارجي و الرد على هذا المؤثر بصورة موافقة [1] "إن كلمة "**الإدراك** " تعني "المعرفة أو الوعي " و بهذا المعنى فأي نشاط ينطوي على معرفة أو إدراك هو من أنشطة العقل المدرك ،فالمسألة كلها تبدأ بالإدراك الحسي . و الحواس الخارجية هي الأساس الأول لكل المعارف الإنسانية ومصدرها" .[2] فكل معرفة لا بد أن تبدأ بالحواس أولا ثم يأتي الإدراك بعد ذلك ، ولكن "رائق" لا يفرق بين الإحساس و الإدراك ، إذ يقول :" نحن نقول لا يوجد فارق جوهري بين ما يدعى بالإحساس و بين ما يدعى بالإدراك و ذلك لأنهما معا يعبران عن شكل وعقل وهما شكلان من تشكيل الوجود البشري ، و العقل و الجسد لا يختلفان عن بعضهما إلا في الشكل "[3] .وهذا بالفعل ما توصلت إليه العلوم الحديثة حيث لم تعد تفسر الإدراك بمجرد الانعكاس فقط "فعمليات الإدراك ذاتها تنشأ بطريقة مجهولة تماما عن المعلومات المنقولة بالرموز من شبكية العين إلى الدماغ"[4] . فعملية الإدراك لا تزال مجهولة " و المادة وحدها لا تستطيع أن تفسر الإدراك الحسي . فالنظرة القديمة تستطيع أن تتحدث عن الموجات الضوئية ، و التغيرات الكيمياوية و النبضات الكهرباوية فالأعصاب ، ونشاط خلايا المخ . أما عن عمليات الإبصار و الشم والذوق و السمع واللمس ذاتها فليس عند المادية ما تقوله "[5].من هنا يتضح أن مشكلة الإدراك مشكلة مستعصية حتى الآنلأنه عمل معقد ومتشابك،تتداخل فيه عوامل كثيرة، سواء على صعيد الذات المدرِكة آم المحيط الخارجي."يتأثر النشاط العقلي بالبيئة

2-جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي** ، (ج1) ، ص.55.
3-روبرت م .أغروس و جورج ن.ستانسيو ، **العلم في منظوره الجديد** ،ص. 30.
4-رائق النقري ، **النظرية الحيوية في المعرفة** ، ص.130.
5-روبرت م أغروس و جورج ن.ستانسيو ، **العلم في منظوره الجديد** ، ص. 28.
1-روبرت م أغروس و جورج ن.ستانسيو ، **العلم في منظوره الجديد**، ص.30.

الاجتماعية تأثرا كبيرا مثل تأثره بسوائل الجسم"[1].وبما أن العوامل الذاتية(الذكاء،الذاكرة،تخيل،الرغبة،...الخ)،و العوامل الموضعية(المحيط الجغرافي،و الاجتماعي)كلها تؤثر و تتأثر ببعضها و في عملية الإدراك،وبناء عليه فإنه لا يكون هناك إدراك واحد لدى الشخص الواحد في كل زمان و ومكان،ناهيك أن يكون لدى الجميع.إذا فالإدراك عبارة عن معايشة بشكل معين و بكيفية معينة"وعلى هذا فإن للأعمى واقعا مرئيا مختلفا،وللأصم واقعا سمعيا مختلفا و للمريض واقعا مختلفا،إن الواقع الذي نعيش فيه يختلف من امرئ لأخر على حسب نمط معياشته للواقع... وهذا يعني أننا لانعقل إلا الواقع الذي نعيش فيه و يختلف كل واقع منا بحسب تآلفه مع الواقع"[2].فالواقع وإن كان مستقلا عنا فإن إدراكنا له ومعرفتنا به، تكون على درجة معياشتنا له وبطريقة فهمنا له.يقول"**العاملي**":"و ليس للإدراك واقعية إلا الأثر الحاصل من التفاعل و هو لا يعادل المادة الخارجية أولا،ولا المادة الدماغية ثانيا،لأنه وليد المادتين.و الوليد لايعادل الوالدين"[3].فالإدراك هو تفاعل بين المادة و الدماغ؛فلاهو المادة الخارجية،ولاهو الدماغ،بالتفاعل منهما معا،وهذا التفاعل لايزال مجهولا،كيف يتم؟ "وحتى لو أننا اخترقنا شبكة العقل المعقدة و الوظائف العصبية، فإننا لانستطيع أن نقابل الشعور في أي مكان لأن **الروح** و **الجسد**إن هما إلا **ابتداعان** نتيجة لوسائلنا و ملاحظتنا"[4].

- **المطلب الثاني: الحقيقة شكل معرفـي:**

إن الغاية من المباحث الفلسفية كلها هي محاولة الوصول إلى معرفة الحقيقة. فماهي الحقيقة؟وهل هي موجودة؟وإن كانت كذلك كيف الوصول إليها؟ وهل هي مطلقة أم نسبية؟كل هذه الأسئلة كانت مدار جدل بين الفلاسفة منذ القدم إلى اليوم،فتعددت مشاربهم إيديولوجياتهم.ومن بين هذه الإيديولوجيات،الإيديولوجية الحيوية؛فما الحقيقة عندها وكيف فهمتها؟

2-الكسيسكاريل،**الإنسان ذلك المجهول**،تر،عادل الشقيق،(الدار القومية للطباعة و النشر د،ت)، ص.120.

3-رائق النقري ،**النظرية الحيوية في المعرفة**،ص.173.

4-حسن محمد المكي العامري،**نظرية المعرفة**،(**المدخل إلى العلم و الفلسفة الالهيات**)، (لبنان،بيروت،الدارالإسلامية،ط1،1990) ،ص..120

5-الكسيسكاريل،**الإنسان ذلك المجهول**،ص. 56،57.

الحقيقة:لغة:ما اقر فيه الاستعمال على أصل وضعه،حقيقة الشيء خالصه وكنهه.ومحضه.وحقيقة الأمر يقين شأنه[1].أما **الحقيقة عند الحيوية** يجيب عنها "**رائق**"بعد السؤال عنها قائلا:"الحقيقة هي التحقق، هي الانجاز،التكون؛ فالحقيقة هي الكينونة، و الحق هو تحقيق الحقيقة و تكوين الكينونة"[2].فإذا كانت الحقيقة هي تكوين الكينونة،فالكينونة حركة متجددة،وما دامت كذلك فسوف لن تكون مطلقة،بل تصبح بالضرورة نسبية،احتمالية خاضعة للمجال الحيوي والمعايشة الإنسانية؛فالحقيقة تتأثر بكل ما له علاقة بالإنسان ابتداء من الماديات و انتهاء بالمعنويات.

في سنة1943عندما كان"**وينستون تشرشل**"*يناقش شكل الهندسة المعمارية لبناية مجلس العموم بعدما هدمته الغارات الجوية الألمانية إبّان الحرب العالمية الثانية الحّ "**تشرشل**"على إعادة البناء بهندسته القديمة و قال:"نحن نهندس عماراتنا،وعماراتناتهندسنا،بدورها بعد ذلك"[3].إن عبارة "**تشرشل**" هذه دلالة واضحة على تأثير عماراتنا في تشكيل وتكوين عقولنا ومن ثمة في حكمنا على الأشياء وتصور الحقيقة، وفي المقابل تؤثر عقولنا في عماراتنا ومحيطنا،وهنا يكون التفاعل،وتصبح الحقيقة عبارة عن شكل معرفي." أسلوب المناقشات البرلمانية في انجلترا تأثر-شرطيا-بالخصائص المادية للبناء القديم و أي تغير في الهندسة المعمارية سيؤثر حتما على طريقة المناقشات و المسجلات في مجلس العموم وبالتالي على بنية الديمقراطية الانجليزية"[4].ومما سبق ذكره يمكن القول إن الحقيقة عبارة عن شكل معرفي لاعتبارات كثيرة.

-الكائن الذي نريد الحكم عليه هو ذو أبعاد متغيرة زمكانيا.

-الحقيقة البشرية تختلف عن حقيقة الكائنات الأخرى.

-الحقيقة تختلف و تتنوع حسب زمكانية الفرد و عقيدته و علمه وعمله وظروفه الاقتصادية و الاجتماعية.

1جميل صليبا،**المعجم الفلسفي**،(ج1) ، ص.485.

2رائق النقري،**النظرية الحيوية في المعرفة** ،ص.180.

*-**وينستونتشرسل** (1884-1956) **WINSTON CHURCHILL**رئيس وزراء بريطاني .

3-رنيهدوبو،**إنسانية الإنسان**،تع،نبيل صبحي الطويل،(بيروت،مؤسسة الرسالة،ط2،1984) ،ص.209

1-رنيهدوبو،**إنسانية الإنسان**،تع،نبيل صبحي الطويل،(بيروت،مؤسسة الرسالة،ط2،1984) ،ص.209.

-الحقيقة متغيرة من مجتمع إلى آخر بل في المجتمع الواحد.

-الحقيقة المعرفية يعبر عنها بواسطة اللغة (كلمات،إشارات،رموز...الخ.) . فالكلمات هي أدوات التعبير عن الأفكار،ولكنها ليست الأفكار ذاتها"[1]."ومن المعروف إن اللغات متفاوتة في القدرة على التعبير، وأن المجتمعات التي تتحدث لغة واحدة هي أيضا متفاوتة القدرة في استخدمها،وكذا الأفراد فهم متفاوتوا القدرة في التعبير اللغوي عن معايشات من فرد إلى آخر ومن وقت إلى آخر"[2].وهكذا لا يمكن التعبير بدقة و صورة موحدة عن الحقيقة، بل يظل التعبير عنها والحكم عليها-مهما كان-نسبيا يعبر عن شكل من أشكال الحقيقة .

• المطلب الثالث : نقد النظرية الحيوية

إن أية نظرية فلسفية كانت أو غيرها لا يمكن أن تعلو عن النقد ، و هذا ما يطالب به الفيلسوف "رائق علي النقري" حيث يقول : "إن القول بوجود معرفة صحيحة و أخرى أصح يعني الدعوة لإزالة التعصب الفكري الذي يؤدي إلى العمل ضمن الإمكانات الأفضل . و دعوة لإزالة الغرور الذي يصاحب الإيمان بفكرة تزعم لنفسها علم العلوم و المعرفة المطلقة و الشاملة و الأزلية. إنها الدعوة إلى مزيد من المسؤولية . و دعوة إلى مزيد من الدقة في طرح أبعاد الفكرة التي نؤمن بها "[3] .

بل و يستشهد "رائق" بالمقولة الآتية : "يجب محاربة الإمبريالية الفكرية ، و يجب أن لا تقف في طريق البحث أية نظرية ، مهما كانت سمعتها و هيبتها مهيمنة على العالم"[4]. و عليه وجهت بعض الإنتقادات إلى النظرية الحيوية منها :

- إن إلغاء فكرة الجوهر التي إعتمدت عليها الفلسفات السابقة ليس بالأمر السهل تقبله من طرف الفلاسفة ، ناهيك عن عامة الناس .

1-روبرت م.اغروس و جورج ن.استانسيو،**العلم في منظوره الجديد** ، ص.37.

2-رائق النقري،**النظرية الحيوية في المعرفة** ، ص.183

3- رائق علي النقري ،النظرية الحيوية في المعرفة ،ص.190 .

4- نقلا عن علي النقري ،القانون الحيوي للكون ،ص.06.

* وهيب الغانم (1919-2003) ،مفكر قومي عربي من مؤسسي حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا و العراق .

- إن إلغاء فكرة الجوهر كذلك يترتب عنها إلغاء فكرة الثنائية -عبر الفكر الفلسفي- الروح و المادة أو المثال و الواقع أو الوجود بالقوة و الوجود بالفعل , فهذا أمر يتطلب التدليل عليه علميا لا نظريا فقط .
- النظرية الحيوية تظل فكرة إفتراضية – عند البعض – تحتاج إلى زمن لإثبات صحتها أو عدم صحتها .
- إن بند الإحتمالية بإتجاه الحياة أو العكس يطرح – عند البعض – الإنزلاق نحو المصادفة و الإتفاق , وهذا لا يبرر فكرة نشؤ الحياة و تطورها نحو الأفضل .
- يرى "حمزة رستناوي" أن المنطق الحيوي إذا جاء كعقيدة ينازع العقائد الأخرى سواء أكانت دينية أو دنيوية فهذا لا يُقبل لأنه يعد شمولية و الشمولية مرفوضة .
- وهناك من يرى أن الإرادة تسبق الوجود و عليه فهي تسبق الشكل , ولكن أليست الإرادة شكل معرفي؟.
- ويرى"وهيب الغانم* أن فكرة الشكل من الصعب فهمها و تفسيرها لأنها تنفي فكرة الجوهر حيث يقول: "بين تحول المادة و الطاقة , من شكل إلى شكل , مراحل من التفاعلات ...جذور النباتات لا تتعامل بالتساوي مع الصخرة و التربة الغضة , و العصافير لا تتعامل بالتساوي مع الصخر و حبة القمح . كذلك الإنسان – المفكر- إنه لا يتعامل مع الأفعى و الشجرة على أساس أنهما سيصبحان يوما مثله , و لا يتعامل مع أنه و الذئب على أساس أنهما في نهاية التحليل سيصبحان طاقة واحدة , و إنما يتعامل مع أشكال الوجود على أساس أنها تحمل فروقا , هي في مرحلتها , و بالنسبة لتواجدها الزمني فروق جوهرية أساسية و راسخة , ولو مرحليا و نسبيا "[1].
- إن النظرية الحيوية لم تُحض بالإهتمام ، فهي كبقية النظريات الفلسفية و العلمية , لا تخلو من معارضة في البداية , فكل جديد سواء أكان علميا أو فلسفيا ...الخ , لابد أن يلقى معارضة عن قصد أو غير قصد. " بل كلما إزداد روعة و نقاء , أمعن الآخرون في نفيه و تهميشه , لا لشيء إلا لأنه لا يصدر عنهم "[2]. و كما فسر

1-نقلا عن رائق علي النقري ،فقه المصالح ،ص.299.

2- رائق علي النقري ،فقه المصالح ،ص.283.

"رائق" عدم إنتشار النظرية بقوله : " لا لشيء , إلا لأن مؤلفها لم يكن قد تجاوز الثانية و العشرين عندما طرحها , و لأنه قبل ذلك عربي , و ليس أوروبيا "[1].

[1]-------- القانون الحيوي للكون ،ص.08.

خاتمـــــــــة

بعد هذا العرض للنظرية الحيوية في لمعرفة عند "رائق النقري" يمكن استخلاص بعض النتائج التالية:

- تعد النظرية الحيوية عند "رائق النقري" مفهوما جديدا في الفكر الفلسفي العربي المعاصر.
- كانت هذه النظرية نتيجة لنكبة 1967 التي كانت لها انعكاسات على مستوى جميع الأصعدة، السياسية والاقتصادية والفكرية.
- كما جاءت هذه النظرية لإلغاء فكرة أن الغاية من التاريخ محددة سلفا وأن التاريخ يسير دائما نحو الأفضل.
- تكمن حقيقة النظرية في نفيها لفكرة الجوهر التي تعتبر الأساس لكل الفلسفات السابقة عنها.
- إن النظرية الحيوية بإلغائها لفكرة الجوهر تعتبر الكون كله شكلا متغيرا نسبيا واحتماليا.
- جاءت هذه النظرية لدحض المثالية والمادية معا.
- إن المعرفة نسبية تخضع للزماكانية وللمجال الحيوي.
- عدم وجود المطلقية في المعرفة الإنسانية ، مما يترتب عنها أن تبقى لكل نظرية فلسفية زمكانيتها ومحيطها الذي نشأت فيه وعليه يكون تقويمها –موضوعيا- على حسب ذلك المجال.
- وبعد دراستي لهذا الموضوع آمل أنني قد حاولت تسليط الضوء على نظرية جديدة في الفكر العربي المعاصر كانت ثورة على ما سبقها من فلسفات غربية قديمة وحديثة، ويبقى بذلك باب الاجتهاد مفتوحا في الدراسات الأكاديمية الفلسفية.

قائمة المصادر

و

المراجع

المصادر:

القرآن الكريم

1- رائق علي النقري ، **النظرية الحيوية في المعرفة** ،(دمشق ، دار الأنوار للطباعة ، ط1 ، 1975).

2- رائق علي النقري ، **القانون الحيوي للكون** ،(دمشق ، مطبعة العلم ،ط1 ،1975).

3- رائق علي النقري ، **المنطق الحيوي : عقل العقل** ، (ج1 ، قانون العقل ، ط1 1987).

4- رائق علي النقري ، **فقه المصالح** ، (القاهرة ، ط1 ،1999).

المراجع :

1- إبراهيم مصطفى إبراهيم،**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**،ج1،ج2،(مصر ، دار المعرفة الجامعية ، طبع و نشر و توزيع ،2015).

2- الكسيس كاريل ،**الإنسان ذلك المجهول** ،تر،عادل شفيق، (الدار القومية للطباعة و النشر).

3- إلياس فرح ، **تطور الفكر الماركسي، (عرض و نقد)**،(بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط1981،6).

4- إمام عبد الفتاح إمام ،**دراسات هيغيلية** ،(القاهرة، دار الثقافة للنشر و التوزيع ،1984).

5- أندرو بووي ،**الفلسفة الألمانية** ،(**مقدمة قصيرة جدا**) ،تر،محمد عبد الرحمان سلامة(القاهرة،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ، ط1 ، 2015) .

6- برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة الغربية**،(**الفلسفة الحديثة**)،تر، محمد فتحي الشنيطي،كتاب 3(المطبعة المصرية العامة للكتاب 1977).

7- هنري برغسون ،**الطاقة الروحية** ،تر،علي مقلد ،(بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط1، 1991).

8- ول ديورنت ، **قصة الفلسفة (من أفلاطون إلى جون ديوي**)،تر،فتح الله محمد المشعشع (بيروت، منشورات مكتبة المعارف ،ط6، 1988).

9- حمزة رستناوي ، **أضاحي منطق الجوهر**،(دمشق ، دار الفرقد للطباعة و النشر و التوزيع ،ط1 ، 2008).

10- حسن محمد مكي العاملي ، **نظرية المعرفة** ،(**المدخل إلى العلم و الفلسفة و الإلهيات**)، (بيروت ، الدار الإسلامية ، ط1 ، 1990).

11- محمد باقر الصدر ، **فلسفتنا** ، (بيروت ن دار التعارف للمطبوعات ،ط12، 1982).

12- محمد عبد الرحمان مرحبا ، **أينشتاين و النظرية النسبية** ، (بيروت، دار القلم ، ط7 ، 1974).

13- مصطفى محمود ، **أينشتاين و النسبية** ، (القاهرة ، دار المعارف ،ط7 ، 1993).

14- عقيل حسين عقيل ، **المفاهيم العلمية** ، (**دراسة في فلسفة التحليل**) ،(بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، ط1 ، 2000).
15- فراج الشيخ الفزاري ، **مباحث الفلسفة الرئيسية** ، (بيروت ، دار الجيل ، ط1 ، 1992).
16- فاروق عبد المعطي ، **أرسطو –أستاذ فلاسفة اليونان –** (بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط1992،1).
17- قباري محمد إسماعيل ، **علم الإجتماع و الفلسفة** (**نظرية المعرفة**) ، ج2 ،(الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 1989).
18- روبرت م .أغروس . وجورج ن .ستانسيو ، **العلم في منظوره الجديد** ، تر كمال خلايلي ، (الكويت، مطابع الرسالة ، 1989).
19- روجيه غارودي ، **النظرية المادية في المعرفة** ، تع ، إبراهيم قريط ،(دمشق ،دار دمشق ، ط1).
20- رينيه دوبو ، **إنسانية الإنسان** ، تع ، نبيل صبحي الطويل ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط1984،2).
21- رنييه سيرو ، **هيغل و الهيغلية** ، تر، أدونيس العكره ، (بيروت ، دار الطليعة ، ط1 ، 1993).
22- غاستون باشلار ، **الفكر العلمي الجديد** ، تر، عادل العوا ،(بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، ط2 ، 1983).

المعاجم :

1- ابن منظور ، **لسان العرب** ، مج1 ، (بيروت).
2- جميل صليبا ، **المعجم الفلسفي** ، ج1،ج2 ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، 1982).
3- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، **تاج العروس من جواهر القاموس** ، تح ، نواف الجراح ،ج3، (تلمسان ، دار الأبحاث ،ط1، 2011).

فهرس الموضوعـــــات

مقدمة.....5 .
الفصل الأول:مدخل إلى النظرية الحيوية.....9 .
المبحث الأول: المفهـوم والنشأة.....9 .
المطلب الأول: تعريف النظرية الحيوية .....9 .
1- الحيوية عند "هنري برغسون".....10 .
2- الحيوية عند" رائق علي النقري".....11.
المطلب الثاني: نشأة النظرية الحيوية..... 12.
المبحث الثـاني: مصطلحات وبنود النظرية الحيوية.....13.
المطلب الأول: مصطلحات النظرية الحيوية..... 13
المطلب الثاني: بنود النظرية الحيوية..... 16.
الفصل الثاني: المعرفة قبل النظرية الحيوية.....31 .
المبحث الأول: المعرفة عند المثاليين .....32 .
المطلب الأول: "جورج بركلي".....32 .
المطلب الثاني: "فريدريك هيغل".....34.
المبحث الثاني: المعرفة عند الماديين.....38.
المطلب الأول:"كارل ماركس".....38.
المطلب الثاني:"روجيه غارودي".....40.
الفصل الثالث: المعرفة عند النظرية الحيوية.....45.
المبحث الأول: الواقع والإحساس.....46.
المطلب الأول: الواقع شكل معرفي.....46.
المطلب الثاني:الإحساس شكل معرفي.....47.
المبحث الثاني: الإدراك والحقيقة.....49.
المطلب الأول: الإدراك شكل معرفي.....49.
المطلب الثاني: الحقيقة شكل معرفي.....50.

المطلب الثالث :نقد النظرية الحيوية.....52.
خاتمة.....56.
قائمة المصادر و المراجع.....58.
فهرس الموضوعات.....61.
ملخص الدراسة.....63.

ملخص .

إن الهدف من هذه المذكرة ، هو التعريف بنظرية فلسفية جديدة في المعرفة . هذه النظرية تدعى " الحيوية" لصاحبها "رائق علي النقري " . فهي تلغي فهم جميع الفلسفات السابقة عنها ، سواء أكانت مثالية بشتى أنواعها أو مادية بشتى أنواعها؛ ذلك لأن كل هذه الفلسفات تقوم في نظريتها المعرفية على مقولة " **الجوهر** "، سواء أكان جوهر الروح أو جوهر المادة . إن مقولة الجوهر هذه أصبحت **مقولة فارغة** من أي معنى ، خاصة بعد اكتشاف "النظرية النسبية " ، وقولها بإمكانية تحويل المادة إلى طاقة و العكس صحيح ، و كذا إدخالها البعد الرابع (الزمن) في عملية المعرفة . فالكون كله أصبح **عبارة عن شكل** يتشكل بعدة طرق وصيغ في زمكانية محددة ومجال حيوي معين . وعليه أصبح لا يمكن القول بأن هذه المعرفة صحيحة ، و هذه المعرفة خاطئة ، و إنما هناك معرفة **أكثر صحة** من الأخرى . وهي المعرفة **الحية** التي تحقق إرادة الحياة التي هي الحرية .

Abstract:

The aim of this study is to define a new philosophic method called **ELHAYAWIA** to its scholar **" RAIK ALI NAKRI**" it cancels all the previous methods, the idealism or the materialism method. These two methods are based on the concept of "the content" wither it is the content of the moral (spirit) or the content of the matter. The content method became without meaning after discovering the relativity Method and its hypothesis saying that the matter can be transferred to energy and vice versa in adding the fourth dimension which is Time on the knowledge process. The universe became a form in different ways and modes and in a specific time & place and in a specific field, so we cannot say that this saying is always wrong or always correct or a knowledge is better than the other one which is the dynamic knowledge that achieves the life willing which is freedom.

Key words:

EL HAYAWIA, idealism, materialism, content, dynamic knowledge.